البعث الأسبوعية

مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر — ٣٢ صفحة

الأربعاء ٢٩ أيلول ٢٠٢١ العدد ٤٥

مشاريع الموازنة العامة المرآة الفعلية لنوايا الحكومة وخططها



سورية والأردن تتفقان على تطوير التعاون في مجالات التجارة والطاقة والزراعة والمياه والنقل

"البعث الأسبوعية". عمان - محمد شريف الجيوسي

اختتمت في العاصمة الأردنية عمان الثلاثاء الاجتماعات الوزارية السورية الأردنية الموسعة التي انعقدت على مدار يومين بهدف تعزيز التعاون الثنائي في العديد من المجالات الاقتصادية

وتوصل الجانبان خلال المباحثات إلى رؤى مشتركة وتفاهمات لأجل تعزيز التعاون الاقتصادي في مجالات التجارة والطاقة والزراعة والمياه والنقل وبالشكل الذي يعود بالفائدة على البلدين.

وأكد الجانبان أهمية وضع تصور لرفع مستوى التعاون الاقتصادي بين البلدين ومعالجة أي صعوبات تواجه حركة التبادل التجاري والنقل والدفع باتجاه تعزيز الشراكة في مجالات الطاقة والمياه والزراعة خدمة لمصالح كل طرف.



وبحث الجانبان خلال اجتماعات موسعة وثنائية تعزيز التعاون الثنائي بين البلدين في مجالات التجارة والنقل والكهرباء والزراعة والموارد المائية.

ففي مجال التجارة والصناعة اتفق الجانبان السوري والأردني على تبادل قوائم السلع ذات الأولوية لتعزيز التبادل التجاري لتتم دراستها بما يحقق المنفعة المشتركة لكلا البلدين، كما تم بحث الإجراءات التنفيذية اللازم استكمالها لإعادة عمل المنطقة الحرة الأردنية السورية.

وفي مجال المياه تم التوافق على إعادة تفعيل لجنة المياه المشتركة لمتابعة تنفيذ الاتفاقية الموقعة بين البلدين عام ١٩٨٧ وتفعيل اللجان المشتركة في أقرب وقت والتعاون لتطوير الاستفادة من مياه حوض اليرموك.

كما تم في مجال النقل بحث سبل انسياب السلع وتسهيل حركة الشحن ونقل البضائع والركاب بين البلدين ودراسة الرسوم المقررة على الشاحنات.

وجرى الإعلان أيضاً عن عودة الخطوط الجوية الملكية الأردنية لتسيير رحلاتها لنقل الركاب بين سورية والأردن اعتباراً من الثالث من تشرين الأول المقبل كما تم بحث أوضاع الشركة الأردنية السورية للنقل لإيجاد حلول للمشاكل التي تواجهها.

وفي مجال الطاقة والكهرباء تم بحث أوجه التعاون المشتركة بين البلدين الشقيقين في قطاع الطاقة بشكل عام وقطاع الكهرباء على وجه الخصوص وسبل إعادة تشغيل خط الربط الكهربائي الأردني السوري وضرورة وضع خريطة طريق واضحة لإعادة تأهيل الشبكة الكهربائية المتضررة على الجانب السوري.

واتفق الجانبان على استكمال اللجنة الفنية السورية الأردنية المشتركة والمشكلة من وزارة الكهرباء السورية ووزارة الطاقة والثروة المعدنية الأردنية أعمالها التي بدأت منذ شهر آب الماضي.

وفي المجال الزراعي تم الاتفاق على تبادل الوثائق لتطوير اتفاقية التعاون العلمي والفني والزراعي في كل المجالات البحثية والصحة النباتية والحيوانية كما تم الاتفاق أيضاً على تبادل قوائم السلع الزراعية والأجندة الزراعية بين البلدين تمهيدا لتنظيم التبادل السلعي التجاري الزراعي.

وكانت الاجتماعات الوزارية السورية الأردنية التي انطلقت أمس استؤنفت في وقت سابق اليوم بمشاركة من الجانب السوري الذي يضم وزراء الاقتصاد والتجارة الخارجية الدكتور محمد سامر الخليل والموارد المائية المهندس تمام رعد والزراعة والإصلاح الزراعي المهندس محمد حسان قطنا والكهرباء المهندس غسان الزامل إضافة إلى نظرائهم من الجانب الأردني.

الخليل

وأوضح وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية الدكتور محمد سامر الخليل رئيس الوفد السوري إلى الاجتماعات المشتركة أن الجانب السوري طرح خلالها الواقع القائم بين البلدين في مختلف المجالات والصعوبات التي تعترضه والآليات المقترحة للتغلب عليها واصفاً الاجتماعات بالمهمة للغاية.

وبين الوزير الخليل أنه تم الاتفاق على الإجراءات التي تخدم قضايا التجارة والنقل والزراعة والطاقة والموارد المائية بين البلدين مع وضع تصورات مستقبلية لها وتحديد مواعيد لبحث واستكمال القضايا الفنية بما يضع ما تم الاتفاق عليه موضع التنفيذ الفعلي وصولاً للنتائج المرجوة.

وأشار الوزير الخليل إلى أنه تم الاتفاق على توحيد رسوم العبور للشاحنات لافتاً إلى أن اللجنة الفنية المشتركة لقضايا النقل بين البلدين ستجتمع لوضع تصورها لتحقيق ذلك، وتم الاتفاق على التطبيق الفوري لنظام الشحن «دور تو دور» للشاحنات السورية بالتزامن مع فتح معبر جابر الحدودي الذي سيبدأ اليوم الأربعاء.

وأوضح أنه تم خلال الاجتماعات استعراض واقع الشركات السورية الأردنية المشتركة، وهي "السورية الأردنية للمنطقة الحرة" و"السورية الأردنية للصناعة" بمعاملها المتعددة و"الشركة المشتركة للنقل البري" مبيناً أن الجانبين اتفقا على وضع تصور مشترك لمعالجة المشكلات التي تعترض عملها بالتعاون بين الوزارات المعنية، وقال إن الجانبين اتفقا أيضاً على تبادل قوائم السلع ذات الأولوية لتعزيز التبادل التجاري لتتم دراستها بما يحقق المنفعة المشتركة للجانبين.

وكان وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية التقى في وقت سابق أعضاء غرفة التجارة الأردنية وقطاع رجال الأعمال الأردنيين حيث جرى تبادل الطروحات واستعراض الواقع القائم والحلول المقترحة.

قطنا

من جهته أعلن وزير الزراعة والإصلاح الزراعي المهندس محمد حسان قطنا أن المباحثات السورية الأردنية تطرقت إلى الاتفاقيات الزراعية الموقعة بين البلدين في مجال التعاون العلمي والفني الزراعي والصحة الحيوانية والأدوية البيطرية والمبيدات والحجر الصحي وتم الاتفاق على عقد اجتماعات فنية لتحديث هذه الاتفاقيات تمهيداً لتفعيل تنفيذها.

وأوضح قطنا أن الجانب السوري سلم الجانب الأردني مشروع اتفاقية للتعاون العلمي والفني الزراعي لدراستها وإبداء ملاحظات عليها تمهيداً لتوقيعها كما تم الاتفاق على تبادل قوائم السلع الزراعية المنتجة في كلا البلدين وتحرير الروزنامة الزراعية الخاصة بكل منهما تمهيداً للاتفاق على التبادل التجاري الزراعي للمنتجات النباتية والحيوانية ضمن مواعيد زمنية محددة وبما يتوافق مع شروط الحجر النباتي والحيواني في كلا البلدين.

ولفت قطنا إلى الاتفاق على وضع برنامج مشترك لآثار التغيرات المناخية على القطاع الزراعي على المستوى الإقليمي بحيث يتم وضع مشاريع مشتركة متكاملة بين الجانبين بمشاركة مراكز البحوث المحلية والعربية وبخاصة المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة «أكساد».

وأشار وزير الزراعة إلى أن اجتماعاً حدودياً فنياً في مجال الصحة الحيوانية سيعقد الخميس القادم الـ ٢٩ من أيلول في منطقة نصيب لتسهيل تبادل الحيوانات والمنتجات الحيوانية مؤكداً أن الجانبين أبديا ارتياحهما للعلاقات المشتركة والتعاون الذي كان وما زال والذي سيتم تعزيزه من خلال ما سيتم الاتفاق عليه.

رعد

بدوره أشار وزير الموارد المائية المهندس تمام رعد إلى أنه تم مع الجانب الأردني بحث تنفيذ اتفاقية استثمار مياه نهر اليرموك والصعوبات التي تعيق تنفيذ بعض مكوناتها بخاصة ما يتعلق بسيطرة العصابات الإرهابية في فترة سابقة على مساحات واسعة من الحوض مبيناً أنه تم الاتفاق على إعادة تشكيل اللجان الفنية لمتابعة تنفيذ بنود الاتفاقية وعلى انعقاد هذه اللجان بعد تشكيلها في أقرب وقت ممكن لبحث تنفيذ الاتفاقية

ولفت الوزير رعد إلى أنه تم التوافق على إعادة تفعيل لجنة المياه المشتركة لمتابعة تنفيذ الاتفاقية الموقعة بين الطرفين عام ١٩٨٧ موضحاً أن الجانبين اتفقا على تبادل الخبرات في مجال البحث العلمي والفني وفي مجال الموارد المائية والاستفادة من التجربة الأردنية الناجحة في مجال إدارة الصرف الصحي.

الزامل

من ناحيته قال وزير الكهرباء المهندس غسان الزامل: إنه تم خلال الاجتماعات توصيف الأضرار للخط الناقل للكهرباء في سورية ودراسة البرنامج الزمني اللازم لإعادة تفعيله بين البلدين وبدء سورية بإصلاحه ضمن أراضيها والذي سيستغرق شهرين على الأقل.

وبين الوزير الزامل أنه تم الاتفاق على عقد اجتماع آخر للجان الفنية في عمان في الـ ٣ من تشرين الأول المقبل لدراسة اتفاقية تزامن الشبكة السورية الأردنية عند الانتهاء من إصلاح الخط في سورية وتوقيع اتفاقية الربط الكهربائي بين البلدين.

ولفت الوزير الزامل إلى أن الجانب الأردني أبدى استعداده لتقديم الخبرات الفنية في مجالات الطاقة المتجددة مشيراً إلى أنه تم بحث سبل إعادة تشغيل خط الربط الكهربائي السوري الأردني وضرورة وضع خارطة طريق واضحة لإعادة تأهيل الشبكة الكهربائية المتضررة على الجانب السوري.

وبين الوزير الزامل أن الجانبين اتفقا على ضرورة استكمال اللجنة الفنية السورية الأردنية المشتركة أعمالها والمشكلة من وزارتي الكهرباء السورية والطاقة الأردنية والتي بدأت في آب المنصرم.

بدوره صرح القائم بأعمال السفارة السورية في الأردن السفير عصام نيال أن الاجتماعات تأتي في نطاق اللقاءات الدورية بين مسؤولي البلدين الشقيقين والتي من شأنها تعزيز العلاقات بينهما مبيناً أنه تم خلالها مناقشة العلاقات الاقتصادية والتجارية بالتزامن مع القرار الأردني بفتح معبر جابر نصيب الحدودي مع سورية ما يسهل انسياب حركة التجارة والبضائع والترانزيت.

وكانت اختتمت بوقت سابق اليوم في العاصمة الأردنية عمان الاجتماعات الوزارية السورية الأردنية الموسعة التي انعقدت على مدار يومين بهدف تعزيز التعاون الثنائي في العديد من المجالات الاقتصادية.

الخصاونة يؤكد أهمية تعزيز علاقات التعاون

وخلال لقائه الوفد الوزاري السوري، أكد رئيس الوزراء الأردني الدكتور بشر الخصاونة أهمية تعزيز علاقات التعاون والتنسيق بين البلدين في مختلف المجالات بما يخدم المصالح المشتركة للبلدين والشعبين الشقيقين.

وأشار الخصاونة إلى ضرورة ترجمة اللقاءات والزيارات المتبادلة بين البلدين في الآونة الأخيرة على صورة مشاريع تعود بالنفع والفائدة على الشعبين الشقيقين وتسهم في تعزيز أواصر علاقات الأخوة التاريخية التي تجمع بين الأردن وسورية معرباً عن تمنياته لسورية بمزيد من الأمن والاستقرار.

كما ناقش الخصاونة مع الوفد إمكانية تسريع وتيرة نقل الغاز المصري والكهرباء إلى لبنان من خلال الأردن وسورية وذلك عبر تأهيل الشبكة الكهربائية في الأراضي السورية مؤكداً أن الأردن حريص على دعم وإسناد لبنان في الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها.

بدوره استعرض الوفد السوري أبرز ما تضمنته الاجتماعات مع الوزراء الأردنيين في مجالات النقل والتجارة البينية والمياه والزراعة والطاقة مؤكدين أن هناك حالة ارتياح لدى الشعب السوري بسبب عودة الزيارات والعلاقات بين البلدين الشقيقين.

وكانت جرت خلال اليومين الماضيين في عمان الاجتماعات الوزارية السورية الأردنية لبحث سبل تعزيز التعاون الثنائي في مجالات التجارة والنقل والكهرباء والزراعة والموارد المائية.

وشارك في الاجتماعات من الجانب السوري وزراء الاقتصاد والتجارة الخارجية والموارد المائية والزراعة والإصلاح الزراعي والكهرباء إضافة إلى نظرائهم من الجانب الأردني.

كلمة العدد

مهاجرون أم مهجّرون أم لاجئون؟

د. عبد اللطيف عمران

كان من اللافت للانتباه انشغال المجتمع والدولة والميديا في سورية بمسألة الهجرة، وقد حظيت هذه المسألة بنقاش غير عابر في جلسات مجلس الشعب خاصة أثناء مناقشة بيان الحكومة الجديدة، ولا شك في أنها ظاهرة تستحق الاهتمام والمناقشة والتوضيح أيضاً بعيداً عن الاعتراف والإنكار.

والمسألة ظاهرة للعيان، لكنها في الأساس ليست طارئة على هذه المنطقة من العالم، وهي معروفة عند الآخرين على امتداد الزمان والمكان، ومدروسة بشكل جيّد في الاقتصاد وعلم الاجتماع، وفي السياسة والمنظمات الدولية أيضاً، ما يجعل عبث السوشيال ميديا بها غير ذي جدوى ولا فائدة بل عرضة لزيادة الطين بلّة.

وإذا كانت الحرب على سورية أنموذجاً مناسباً ومهمّاً، لبحث هذه المسألة، فإن من الضروري التأكيد على تقصير المجتمع الدولي والقانون الدولي ومنظمات الأمم المتحدة تحديداً في معالجتها دون تسييس، ولا سيما أن المفوضيّة السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين UNHCR أكدت أن: (نماذج تنقّل البشر قد صارت متزايدة التعقيد خلال الأعوام الأخيرة) وبذلت جهوداً نظرية للتفريق بين الهجرة واللجوء، ودعت إلى عدم الخلط بينهما، وحذّرت من تحوّل اللاجىء إلى مهاجر، والمهاجر إلى لاجىء، مفيدةً من (اعتراف الجمعية العامة للأمم المتحدة بالفارق المهم بين اللاجئين والمهاجرين)، ومؤكّدةً عدم اعتبار نفسها منظمة معنية بالهجرة.

لكن الأهم في هذا السياق أن هذه المفوضية، وكثير معها من منظمات الأمم المتحدة لم يتطرّق بشكل واضح وكاف إلى أثر الاستثمار في الإرهاب الجوّال والعابر للحدود والمرعي مادياً ومعنوياً بالمال وبالسلاح وبالإيديولوجية في: الهجرة، والتهجير، واللجوء. وذلك لأسباب سياسية محضة بعيداً عن الاقتصاد والأوضاع المعيشية، مع التغافل المدروس والمسيّس لكون ثلاثية الهجرة والتهجير واللجوء الطارئة (في الأعوام الأخيرة) التي أشارت إليها المفوضيّة الساميّة ليست لأسباب داخلية بقدر ما هي لأسباب خارجية -الهيمنة والتآمر- بالدرجة الأولى، وآية ذلك ما يحدث في سورية.

فليست هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها في سورية الطبيعية والعراق هجرة وتهجير، فمع الاحتلالات والاعتداءات والاستيطان العثماني القديم والجديد ، والصهيوني، والأمريكي في هاتين المنطقتين من العالم حدثت موجات عديدة من الهجرة والتهجير في العراق وسورية ولبنان وفلسطين، ما يستحق الدراسة والتوضيح والتفصيل أيضاً. ويكفي دراسة أسباب هجرات السوريين بالملايين إلى أصقاع العالم أيام الاحتلال العثماني في القرن التاسع عشر ومطلع العشرين -السفربرلك-، وكذلك الأمر لأكثر إيلاماً مع العثمانية الجديدة في مطلع هذا القرن. هذا جميعه لم يكن لأسباب داخلية، وهو تهجير من الخارج وليس هجرة طوعية من الداخل، لأن (المهاجر: هو شخص يغادر وطنه طواعية)، وهذه الأوطان غنيّة حضارياً واقتصادياً وبشرياً، وأهلوها تاريخياً وطنيون وعروبيون، ويبدو أن المشكلة تكمن هنا.

ومن المؤسف أن منظمات المجتمع الدولي تجاهلت عمداً تسهيل ودعم عدد غير قليل من الدول لعبور (هجرة أم تهجير) مئات آلاف الإرهابيين بسرعة من أربع جهات الأرض إلى سورية، ومعهم إيديولوجية تكاد تكون واحدة على الرغم من أنهم عصابات متباينة في الأصل، إنها الإيديولوجية المنبثقة عما يحيط بتطور الوهابية، والإخوان المسلمين، وجماعة التكفير والهجرة التي ترفع شعار التكفير أولاً ثم الهجرة إلى زمن آخر قبل المكان الآخر. وهذا التدفق السريع للعصابات واكبه فوراً إعداد مخيمات اللجوء للمهجّرين وليس للمهاجرين من منطقة حضارية وغنية مادياً ومعنوياً. فهل تدفّق العصابات الإرهابية المسلّحة هجرة أم تهجير أم لجوء؟!!

إذن ليست المسألة مسألة نظام سياسي على المستوى الداخلي، بل مسألة نظام سياسي على المستوى الخارجي يلعب بها التحالف الصهيوأطلسي الرجعي العربي والعثماني أقذر الأدوار التي وقع في شركها مرتزقة ومأجورون ومعارضة وأنصاف معارضة وأشباههما من طبقة رمادية ومن تجّار حروب إضافة إلى ما اقترن بذلك من حصار وعقوبات كان أثرها المعنوي والإداري والاجتماعي على المجتمع والدولة أخطر من أثرها المادي فنشط معها وجرّاءها الخلل الإداري وما ينتج عنه من أمراض وسلوكيات ما قبل وطنية وما قبل مؤسساتية وصولاً إلى الفساد الذي لم ينكر آثاره أحد،

وبهذا تحوّلت سورية من بلد لجوء إلى بلد هجرة، بل تهجير، وباتت الهجرة هذه الأيام معركة افتراضية على صفحات السوشيال ميديا حيث تسريب أخبار كاذبة، وأرقام مزوّرة تنعي الاقتصاد السوري وتحرّض الشباب على مغادرة البلاد لزرع الخوف وتعميم الإحباط والروح السلبية. بينما الهدف في العمق هو محاولة انتزاع أي قابلية وأي قدرة أو إرادة لتعزيز روح التحدي والصمود والمقاومة لدى الأجيال الجديدة ودفعها لمغادرة أوطانها باستسلام كامل لتكون لقمة سائغة للأعداء التاريخيين.

في الأيام الأخيرة تزايدت الأصوات التي تعي هذه الحقائق، وكذلك تزايدت الوقائع والقرائن التي تؤكد أن سورية لا بد أن تتعافى وتعود إلى ما كانت عليه، وبوعينا وأصالتنا ووطنيتنا وعروبتنا وصمودنا تحت راية القائد الأسد سنعود لنكون أفضل.

سورية وفرنسا.. دمشق من مسرح للأطماع الاستعمارية إلى لاعب دبلوماسي لا يمكن تجاوزه



"البعث الأسبوعية"ـ علي اليوسف

منذ ٢٤ تموز ١٩٢٠، واجه السوريون القوات الفرنسية في معركة ميسلون، وهم اليوم يعيدون السيناريو نفسه، ولكن بطريقة مختلفة. ومنذ ذلك الوقت تشهد العلاقات السورية الفرنسية تاريخا طويلا ومضطربا، حيث يمكن إرجاع بعض الأصول المبكرة لهذه العلاقة إلى الضابط العسكري الفرنسي، فرانسوا دي توت، الذي قدم النصح للإمبراطورية العثمانية، في ستينيات القرن الثامن عشر، أو حملات نابليون العسكرية الفاشلة إلى بلاد الشام ومصر، عام ١٧٩٨، أو إلى نهاية الحرب العالمية الأولى عندما عرضت عصبة الأمم بقايا الإمبراطورية العثمانية على بريطانيا وفرنسا. ويمكن القول أن العلاقات السورية الفرنسية بدأت حقيقة في تلك المرحلة.

حتى يومنا هذا، تحتفظ فرنسا بشيء من النفوذ في مستعمرتها السابقة، والتي وفرت لها، إلى جانب لبنان، بوابة إلى الشرق الأوسط. بالإضافة إلى ذلك، كانت فرنسا مهد إيديولوجية سياسية حديثة تركت تأثيراً هائلاً في بلاد الشام وكان مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي، ميشيل عفلق، يقرأ بعمق في فلسفة هنري برجسون، ويجد ملاذاً في الحركة الشيوعية الفرنسية، والتقى بزميله الفكري، ورفيقه في الحزب، صلاح الدين البيطار في جامعة السوربون في باريس. ولكن

اليوم ينظر غالبية السوريين إلى فرنسا نظرة ازدراء وسخرية وعداء نتيجة الفظائع والكوارث الإنسانية الناجمة عن انخراطها في الحرب على سورية منذ ما يقرب من عقد من الزمن.

أول صدام فرنسي مع سورية

بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية بعيد الحرب العالمية الأولى، والإنشاء المؤقت لمملكة سورية بقيادة الملك فيصل، دخلت فرنسا وسورية في أول صدام في تاريخهما الطويل والمضطرب. فقد سعت فرنسا للاستيلاء على الأراضي السورية التي حصلت عليها في صفقتها السرية مع المملكة المتحدة، وشرع الملك فيصل، من جهته، في إقامة مملكة عربية مستقلة. وقد أدى ذلك إلى بدء مسار من التصادم الذي لطالما ظل يطارد العلاقات الثنائية. ومنذ العام ١٩٢٠، رأت النخب السياسية والاجتماعية في سورية أن فرنسا قوة استعمارية يجب التخلص منها حتى تتمكن سورية من رسم مصيرها كدولة مستقلة وذات سيادة.

بعد وقوفه إلى جانب البريطانيين والفرنسيين للعمل على هزيمة الإمبراطورية العثمانية، دفع الرئيس الأمريكي، وودرو ويلسون، بمبادئ السلام المثالية ذات النقاط الأربع عشرة، ورؤيته للمجتمع دولي، وهو ما رفضه حلفاء الولايات المتحدة بسخرية؛ وحتى عصبة الأمم نفسها فشلت إلى حد كبير بسبب السياسة الداخلية للولايات المتحدة. وقامت فرنسا بدورها بإحداث تغييرات إقليمية دائمة في سورية، حيث سلخت لواء اسكندرون إلى تركيا، في عام ١٩٣٩، وكان حينها الفيلسوف والمفكر البعثي زكي الأرسوزي صوتاً بارزاً ضد عملية الإلحاق التركية.

ظهرت تداعيات التاريخ الاستعماري الفرنسي في سورية في سنوات ما بعد الاستقلال مباشرة. فقد تراوحت العلاقات بين باريس ودمشق بين ساخنة وباردة. وعندما بدأ قطار الاستقلال السوري في الصعود، تعرضت الدولة الوليدة لثلاثة انقلابات عسكرية، وكل ذلك في عام ١٩٤٩. كان أول قائد للانقلاب هو الضابط الفرنسي، حسني الزعيم. وبعد سقوطه وإعدامه، تولى سامي الحناوي السلطة قبل أن يطرده أديب الشيشكلي في نهاية العام لمحاولته دفع سورية إلى العراق المدعوم من بريطانيا. وجاء الرئيس الفرنسي فينسينت أوريول، وهو اشتراكي، إلى السلطة في الجمهورية الفرنسية الرابعة، ليشهد على تراجع كبير في نفوذ فرنسا في "ممتلكاتها" الاستعمارية. ومع ذلك، فقد اتخذ نبرة ودية مع الشيشكلي.

بعد سقوط الشيشكلي عام ١٩٥٤، كانت سورية تمر بتغيرات سياسية سريعة، وتوجهت نحو الاتحاد السوفييتي السابق. وبعد فترة وجيزة من أزمة السويس عام ١٩٥٦، التي شنت خلالها كل من فرنسا و"إسرائيل" والمملكة المتحدة عدواناً عسكرياً ثلاثياً ضد مصر، أصبح عبد الناصر هدفاً للقوى الغربية في غضون ذلك، وفي كانون الأول ١٩٥٦، توجه السوريون والسوفييت إلى الأمم المتحدة للتحذير من خطر وشيك من قبل المملكة المتحدة و"إسرائيل" وتركيا وفرنسا. رأى دبلوماسيون في الأمم المتحدة أن المسرح السوري ينطوي على احتمال تصعيد أكبر من أزمة السويس. ومع وصول الرئيس حافظ الأسد إلى السلطة، في عام ١٩٧٠، شعرت فرنسا حقاً بتحول سورية من منصة مسرح استعمارية سابقة إلى شريك رقص دبلوماسي خطير.

عهد حافظ الأسد

كانت سورية في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد مختلفة كثيراً عما مضى، فبعد أن كانت ساحة لصراعات الآخرين دخلت في منافسة على السلطة خارج حدودها. سارعت فرنسا للقيام بأول زيارة دولة، حيث التقى الرئيس فاليري جيسكار ديستان بالرئيس حافظ الأسد. ولكن سرعان ما أصبحت فرنسا عالقة في الحرب الأهلية في لبنان. أرسلت باريس قوات كجزء من القوات المتعددة الجنسيات في النصف الأخير من الحرب. تم تفجير السفارة الفرنسية في بيروت عام ١٩٨٢، وفي تشرين الأول ١٩٨٣، فقدت فرنسا ٥٨ مظلياً، وشاركت في غارات جوية انتقامية في سهل البقاع اللبناني. وبحلول شباط ١٩٨٤، انسحبت فرنسا والولايات المتحدة من لبنان.

ميتران يزور ضريح الجندي المجهول

في تشرين الثاني ١٩٨٤، أصبح الرئيس ميتران أول زعيم فرنسي يزور دمشق منذ استقلال البلاد. سعى ميتران، الذي التقى في وقت سابق الزعيم الليبي معمر القذافي، إلى الضغط على سورية بشأن لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية. ومع ذلك، قال الرئيس حافظ الأسد لميتران خلال مأدبة العشاء: "لا يمكن تحقيق سلام عربي - إسرائيلي طالما أن جزءا من الأراضي العربية محتل، وأن جزءا من شعبنا العربي يتعرض للقمع"، واتهم الغرب بالخلط بين الإرهاب والمقاومة في سبيل التحرر الوطني.

خلال هذه الحقبة، كانت العلاقات بين باريس ودمشق متوترة بالفعل، لكن ميتران حاول أن يقدم أفضل ما لديه بعد رحلته إلى دمشق.

فرنسا والرئيس بشار الأسد

اعتُبرت فرنسا أن وصول الرئيس بشار الأسد إلى سدة الرئاسة يمكن أن يشكل فرصة لإعادة التوجه نحو سورية، ورغم ذلك لم تكن العلاقة مع فرنسا في أوائل العقد الأول من هذا القرن دائماً سلسة. فبعد اغتيال رفيق الحريري، عام ٢٠٠٥، عادت العلاقات بين فرنسا وسورية مرة أخرى للتوتر. وخلال ما يسمى "ثورة الأرز"، ساعد شيراك الولايات المتحدة في تنظيم انسحاب سورية من لبنان. ومع اندلاع حرب صيف عام ٢٠٠٦ بين حزب الله و"إسرائيل"، أبلغ شيراك رئيس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الوقت، إيهود أولمرت، سراً، أن فرنسا ستدعم غزواً إسرائيلياً لسورية، لأن فرنسا اعتبرت دمشق مسؤولة بشكل أساسي عن تسليح حزب الله. ومع ذلك، بعد عامين فقط، غيرت فرنسا تكتيكاتها مرة أخرى.

في أيلول ٢٠٠٨، كان الرئيس نيكولا ساركوزي أول رئيس غربي يسافر إلى سورية في أعقاب اغتيال الحريري. ربما على أمل جذب سورية للعودة إلى الساحة الدولية وكسب النفوذ في المنطقة، وبالفعل أعقبت الزيارة سلسلة من المبادرات الدبلوماسية في العلاقات الثنائية، حيث زار الرئيس الأسد باريس في حزيران ٢٠٠٨، للمشاركة في العيد الوطني الفرنسي، أو "يوم الباستيل".

أحداث ٢٠١١

تراجعت العلاقات السورية الفرنسية بعد اندلاع الحرب الإرهابية على سورية في عام ٢٠١١. وعلى الرغم من احتفاظ سورية بسفارة في باريس، أغلقت فرنسا سفارتها في دمشق في عام ٢٠١٢، وأصبحت واحدة من أشد المعادين لسياسات الحكومة السورية. سعت فرنسا خلال السنوات الأولى من الحرب إلى تعزيز معارضة ما يسمى "الائتلاف الوطني السوري"، ومنحته مكانة خاصة في باريس، حتى أنها منحت متزعمي "المعارضة" السورية ألقاباً رسمية فرنسية.

كما ذهب السفير الفرنسي السابق إريك شوفالييه مع السفير الأمريكي السابق روبرت فورد لتحريض السلفيين على التظاهر في حماة. ومنذ ذلك الحين، نشطت المخابرات والدبلوماسية الفرنسية في شمال شرق سورية، لا سيما مع الميليشيات الانفصالية المسماة "قسد".

طوال فترة الحرب، كانت روسيا وفرنسا على خلاف دبلوماسي ربما يكون نزاعهما حول مستقبل الوضع في سورية أكثر بروزاً في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة؛ فقد حاول الرئيس فرانسوا هولاند الدفع من خلال قرار مجلس الأمن الدولي بإحالة سورية إلى المحكمة الجنائية الدولية في عام ٢٠١٤، لكن موسكو أعاقته. وفي تشرين الأول ٢٠١٦، منعت روسيا مشروع قرار في مجلس الأمن الدولي (٢/ ٢٠١٦/ ٨٤٦) اقترحته فرنسا وإسبانيا لوقف تحرير حلب التي يسيطر عليها الإرهابيون. وبعد عام واحد، استخدمت روسيا حق النقض مرة أخرى ضد مشروع قرار S / ٢٠١٧ /١٧٢)) قدمته فرنسا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة لفرض عقوبات على سورية بعلى خلفية مزاعم باستخدام الأسلحة الكيميائية. في أيلول ٢٠١٨، شنت وزارة الخارجية الفرنسية هجوماً على سورية في معركتها للقضاء على الإرهاب في محافظة إدلب، وحينها قال وزير الخارجية جان إيف لودريان: "لا يمكن استبعاد فرضية جرائم الحرب"، حسب تعبيره!!

ماكرون والضربات الجوية

مع وصول إيمانويل ماكرون إلى قصر الإليزيه، حاولت باريس حشد الولايات المتحدة للتعاون في سورية، ولكن مع نتائج مختلطة. وصلت الأمور مع باريس إلى ذروتها مع الادعاء بأن سورية كانت تستخدم أسلحة كيميائية ضد الجماعات المسلحة والمدنيين. لم تشارك فرنسا في الضربة الصاروخية الأمريكية في نيسان ٢٠١٧؛ ومع ذلك، انضمت لجوقة العدوان على سورية فورا إثر مزاعم الهجمات الكيماوية في نيسان ٢٠١٨، في دوما. وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي تستهدف فيها الحكومة الفرنسية بشكل مباشر الحكومة السورية منذ أيام احتلالها الاستعماري. كانت هذه اللحظة أيضاً علامة نادرة وبارزة على التعاون العسكري بين الولايات المتحدة وفرنسا في الشرق الأوسط، والذي تآكل بشدة خلال حرب العراق عام ٢٠٠٣.

في عام ٢٠١٨، عقب تصريح للرئيس ترامب بأن الولايات المتحدة ستنسحب قريباً من سورية، سارع ماكرون لعرقلة الانسحاب الأمريكي المحتمل، مشيراً إلى أنه أقنع الرئيس ترامب بضرورة بقاء الولايات المتحدة على المدى الطويل في سورية. وفي تشرين الأول ٢٠١٩، تعهد ترامب مرة أخرى بالانسحاب وبدأ الانسحاب، لكنه اقتنع بهدوء بعد ذلك بالإبقاء على بعض القوات.

كان لدى فرنسا طموحاتها وأطماعها الخاصة، فقد نفذت غارات جوية لدعم ميليشيات "قسد" الانفصالية في الجزيرة السورية، انطلاقا من قاعدة جوية في الأردن؛ كما أعادت مجموعة صغيرة من أطفال "داعش" من سورية، وقام وزير الخارجية، لودريان، بزيارة إلى العراق لمناقشة عودة ظهور "التنظيم"، ومصير أسراه الفرنسيين في سجون العراق.

لدعمت فرنسا بقوة ميليشيات "قسد" بالأسلحة والتدريب والمعلومات الاستخباراتية، وهناك أيضاً عناصر من القوات الخاصة الفرنسية متواجدة على الأرض داخل سورية. كما كانت فرنسا تضغط بشدة من أجل وقف إطلاق النار برعاية مجلس الأمن بين الأتراك، وما يسمى "قوات سورية الديمقراطية". ومؤخراً، وتحديداً في شباط ٢٠٢٠، حاول ماكرون إقناع روسيا بالموافقة على وقف إطلاق النار في محافظة إدلب.

استنتاج

من الواضح أن فرنسا تهدف إلى إيجاد مكانة لها في الشرق الأوسط وأفريقيا، حيث تعمل باريس على زيادة ميزانيتها العسكرية وتحديث قواتها وتعزيز قدراتها الاستخباراتية. من هنا، من غير المعقول أن تقدم سورية لفرنسا ثماراً سهلة المنال في المستقبل القريب، ناهيك عن الانقسام الفرنسي الألماني حول الدور الأوروبي في منطقة الشرق الأوسط، والانقسام بين أعضاء الاتحاد الأوروبي، وتحديداً أعضاء الناتو، حول ملفات مختلفة مثل سورية وليبيا وطبيعة العلاقات مع وروسيا.

لذلك قد تشهد الانتخابات الرئاسية الفرنسية، في عام ٢٠٢٢، تحولاً جذرياً فيما يتعلق بسورية. وإذا تمكنت منرشة يمينية - على غرار مارين لوبن وحزبها "التجمع الوطني" - من تحقيق الفوز، فيمكن لفرنسا أن تبذل قصارى جهدها لتصعيد النزعة القومية، والسعي إلى تفاهم مع سورية. وحتى لو كان أحد مرشحي يمين الوسط قادراً على الإطاحة بماكرون، فإن مواقف فرنسا يمكن لها أن تتغير، وربما تنفتح بشكل درامي على سورية، ومن المؤكد أن تجدداً اقتصادياً ودبلوماسياً ثنائياً سيتبع ذلك.

وعليه، من المرجح أن تؤدي محاولات الحكومات الفرنسية المستقبلية لإصلاح العلاقات مع سورية إلى نوبات دبلوماسية رفيعة المستوى، لكن: هل سورية على استعداد للتغاضي عن تاريخ فرنسا الثقيل، وتدخلها الدبلوماسي والعسكري على امتداد السنوات الأخيرة في سورية؟

صفقة شيطانية.. اتفاق غير معلن يجمع الولايات المتحدة والجماعات الإرهابية

"البعث الأسبوعية"
ـ سمر سامي السمارة

عرى الانسحاب الأمريكي من أفغانستان ديناميكية الولايات المتحدة في علاقتها التي تطورت بهدوء على مدار العقود الماضية مع المجموعات الإرهابية، وأظهر وجود تفاهم متبادل مشوب بالحذر، ولكنه "عملي"، بين واشنطن وبعض الحركات الإرهابية العالمية. ومع ذلك، لن يجرؤ أي من الطرفين على التعبير عن هذا الالتزام علنا، تخوفا من الغضب الداخلي والخارجي، كما أن الطرفين غير متأكدين من التبعات المترتبة على ذلك، فكلاهما لا يثق في النوايا الحقيقية للطرف الآخر.

ومع ذلك، ونظرا لأن تنظيم "داعش" لا يزال عازما على مهاجمة الولايات المتحدة، وبالمقابل، هو هدف رئيسي لها، نتج عن مراجعة فكرية تبني كل من الطرفين، واشنطن والمجموعات التابعة لتنظيم القاعدة، بموجبها، موقفا أقل عدوانية تجاه بعضهما البعض، وهي صفقة يبدو أن واشنطن تغاضت عن تداعياتها المتعددة وطويلة الأمد.

ويمكن إرجاع جذور هذا الاتفاق غير المعلن إلى النصف الثاني من العام ٢٠١٤، عندما شكلت واشنطن تحالفا دوليا لمحاربة تنظيم "داعش". في ذلك الوقت، كان الأساس المنطقي بالنسبة لـ "الاستراتيجيين الجهاديين" - والغالبية في الشرق الأوسط — إزاء التدخل الأمريكي واضحا: لم توجه الولايات المتحدة هجماتها العسكرية ضد تنظيم "داعش"، عندما قام بغزو منطقة كبيرة بين سورية والعراق، وحكمها بوحشية القرون الوسطى، ولكنها قامت بذلك، فقط، عندما بدأ بقطع رؤوس الغربيين، بوسائل مستوحاة من أفلام وألعاب الفيديو على غرار هوليوود، ومن وسائل الإعلام الغربية وتقنياتها، ووسائل التواصل الاجتماعي مثل يوتيوب، وانستغرام، وغيرهما، بالإضافة إلى نشر رسالته واستقطاب آلاف المقاتلين الأجانب الغربيين، وتجنيدهم لإطلاق تهديدات ضد بلدانهم الأصلية، حيث شهدت تلك البلدان مغادرة مواطنيها للانضمام إلى "داعش".

والحقيقة الواضحة للعيان أن البروباغاندا "الداعشية" تسلط الضوء على نتاجات الولايات المتحدة الأميركية في هذا المجال، كما يُصرّح منتج الأفلام الوثائقية الأميركية أوجين جاريكي: "لسنا فقط رياديين في إنتاج القيم، نحن أيضا رياديون في تقديم مضمون بشع لا أخلاقي ومفسد للعالم". ويضيف: "إذا كنا نشاهد اليوم الصعود السريع لداعش، فذلك يعود كذلك إلى هوسنا بالإفساد".

لذا، يمكن القول أن الدرس كان واضحا: "توار عن الأنظار. لا تقطع رؤوس الغربيين، ولا تخطط لشن هجمات في الغرب، وعندها ستسمح واشنطن بوجودك"؛ وهو بالضبط ما أرادته المجموعات المرتبطة بتنظيم القاعدة، لإحكام قبضتها على المناطق الواقعة تحت سيطرتها؛ ومن خلال اعتماد هذا النهج، سيطرت "هيئة تحرير الشام" المجرمة على إدلب.

بشكل واضح، كشف زعيم ما يسمى "هيئة تحرير الشام"، الإرهابي أبو محمد الجولاني، علنا أن زعيم "القاعدة" في ذلك الوقت، أيمن الظواهري، أرسل إليه "أوامر واضحة بعدم استخدام سورية كنقطة انطلاق لمهاجمة الولايات المتحدة أو أوروبا لكي لا يفسد المهمة المتمثلة بتدمير الدولة السورية.

كان جليا، تكرار الدرس السوري مؤخرا في أفغانستان، حيث فسرت المجموعات المرتبطة بتنظيم القاعدة التطورات الأخيرة في كابول على أنها اعتراف بسياسة الولايات المتحدة غير المعلنة، ولكن الواضحة على نحو متزايد، للتسامح، بل والتعاون، مع الجماعات الإرهابية "المعتدلة" التي، على الرغم من أعمالها العدائية، وانتهاكها العلني لحقوق الإنسان، لا تهاجم، وهي أقل شراسة من تنظيم" داعش".

وفي وقت احتفل أنصار "هيئة تحرير الشام" باستيلاء طالبان على السلطة من خلال توزيع الحلوى على المارة في الطرقات في إدلب، وبث رسائل مناصرة ومباركة لما وصفوه بأنه "النصر ونيل الحرية"، أطل الجولاني متحدثا عن ضرورة التفكير جديا في توسيع نفوذ تنظيمه إلى مواقع خارج إدلب، في إشارة إلى ريفي حلب الشمالي والغربي؛ كما وصف معلق مقرب من المجموعة ذلك بـ "انتصار الصبر الذي يجب أن يستحثنا"، موضحا أن طالبان و"هيئة تحرير الشام" تؤمنان بنجاح الاستراتيجية المتدرجة، والضرورية، لكبح ميلهما لمهاجمة الولايات المتحدة من أجل الصالح العام المتمثل في تعزيز سلطتها.

المنطق نفسه ينطبق أيضا على دول غربية أخرى؛ فقد أعلنت مؤخرا جماعة "نصر الإسلام والمسلمين"، التابعة لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، ولأول مرة صراحة، أن حربها المستمرة مع فرنسا لا تشمل الأراضي الفرنسية وبالمثل، ذكرت القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أنها ستستمر في مهاجمة المصالح الفرنسية في المنطقة، لكنها أعلنت أنه لن يتم استهداف الأراضي الفرنسية من مالي أبدا.

إن رسالة المجموعات الإرهابية التابعة للقاعدة إلى الغرب واضحة، وتشبه رسالة حليفتها طالبان: "دعونا نتسلم أمور الحكم ولن نزعجكم. نحن نعلم أنكم تريدون الخروج من المنطقة ولم تعودوا مهتمين بقضاء حياتكم وإنفاق أموالكم للبقاء في الأماكن النائية ذات القيمة الاستراتيجية الضئيلة بالنسبة لكم. اسمحوا لنا بأن نحكمهم ولن نضايقكم وعلى العكس من ذلك، سنساعدكم في الواقع على تحييد المجموعة الوحيدة التي تهددكم، تنظيم "داعش"، والذي هو أيضا عدونا اللدود.

ظاهريا، سندينكم، ونندد بدعمكم لإسرائيل والأنظمة الأخرى في المنطقة، وبالإساءة للإسلام، في جميع خطبنا ودعايتنا، لكننا أصبحنا أطرافا سياسية براغماتية مستعدة لعقد صفقة تسمح لكم بالخروج من أجزاء كبيرة من المنطقة، دون أية عواقب سلبية".

من الواضح أنه لم يتم التعبير عن شروط الصفقة بعبارات واضحة، لأن ذلك من شأنه أن يعطي ذريعة لمروجي الدعاية في تنظيم "داعش"، الذي يصور بالفعل تنظيمي القاعدة وطالبان بأنهما متعاونان مع الولايات المتحدة وعميلان تخليا عن الطريق الحقيقي لـ "الجهاد"، وهي اتهامات يمكن أن تكلفهما غاليا في السوق التنافسي لـ "الدعم الجهادي"، لكنها واضحة وضوح الشمس لأولئك الذين يولونهم اهتمامهم، ومغرية للكثيرين في الولايات المتحدة، خاصة أولئك الذين ضاقوا ذرعا بالحرب المزعومة على الإرهاب التي استمرت عقدين، ومن المحاولات الفاشلة لبناء الدولة بين صانعي السياسة الأمريكيين.

قلة في واشنطن تجرؤ على التعبير عن ذلك بمثل هذه العبارات، لكن الصفقة التي تسمح للولايات المتحدة بالحفاظ على الأرواح والمال من خلال تكليف "الجهاديين المعتدلين" بالسيطرة على المناطق التي يبدو أنها لا يمكن أن تحكمها أي قوة أخرى هي شكل من أشكال "السياسة الواقعية" التي تلقى قبولا لدى الكثيرين؛ خاصة، إذا كانت هذه السياسة مصحوبة برواية تصور "الجهاديين المعتدلين" بوصفهم تعبيرا أصيلا عن السكان المحليين، وتندد بين حين وأخر بإنتهاكات حقوق الإنسان، أو حتى ببعض العقوبات عديمة الأهمية لإراحة ضميرها.

ومع ذلك، هناك أسباب وجيهة تدعو للتخفيف من الحماس لهذه الصفقة الشيطانية.

أولا، لن يعني ذلك بكل تأكيد نهاية الإرهاب في الغرب، فعلى مدار السنوات العشر الماضية، نفذت الغالبية العظمى من الهجمات ذات الدوافع "الجهادية" في أوروبا وأمريكا الشمالية على يد إرهابيين غير تابعين أو مؤيدين لتنظيم "داعش"، والهجمات القليلة التي نفذها أفراد مرتبطون بالقاعدة، يمكن عدها على الأصابع.

وبما أن الهجمات في الغرب هي إحدى الطرق التي تعزز بها "الجماعات الجهادية" مكانتها بين المؤيدين المحتملين، يمكن القول إن صفقة "القاعدة" والغرب التي تعزز قدرة التنظيم على السيطرة على مناطق واسعة، قد تدفع تنظيم "داعش" إلى تكثيف هجماته التي تعد أفضل سلاح له لمواجهة نجاحات منافسيه من خلال الدعاية؛ إضافة إلى أن فروع "القاعدة" مرنة، ولا تخضع لهيمنة إدارة هرمية صارمة؛ وليس من المستبعد ألا تلتزم بعض الجماعات التي تنتمي إليها بشروط الاتفاقية ثم تهاجم الغرب.

الجهاد المتدرج

ثانيا، يشعر العديد من شركاء الولايات المتحدة في المنطقة - أولئك الذين يطلق عليهم تنظيم "القاعدة" صفة "العدو القريب" - بالإحباط المتزايد بسبب انسحاب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط، وما يعتبرونه نمط واشنطن في عدم الدفاع عن حلفائها. وسيظل العديد منهم أصدقاء مقربين للولايات المتحدة، لكن من المحتم أن يبحثوا عن شركاء أمنيين إضافيين، إن لم يكن بدلاء. وتعطي بوادر الانفتاح التي صدرت مؤخرا عن دول الخليج - والتي ظلت على مدى عقود في المعسكر الأمريكي - تجاه الصين وروسيا أمثلة على هذه الديناميكيات.

ولكن الأهم من ذلك أن الخلل الفادح يكمن في الافتراض الأساسي الذي تقوم عليه الصفقة، وفي النهج المضلل الذي تتبعه الولايات المتحدة، والقائم على تقسيم المجموعات الإرهابية إلى "معتدلين" مثل "هيئة تحرير الشام" و"طالبان" وحتى "القاعدة"، و"متطرفين" هم هنا "تنظيم داعش" الذي تعتبره العدو الحقيقي الوحيد، علناً على الأقل.

هناك فروق بين "الجهادية المتدرجة" و"الجهادية التي نفد صبرها"، فالأولى مستعدة بشكل براغماتي لثني إرادتها مؤقتا لتحقيق أهدافها، فيما الثانية أكثر تعنتا. ولكن "الجهادية المتدرجة" ليست أكثر اعتدالا، غير أنها ببساطة أكثر ذكاء من الناحية التكتيكية، حيث تتكيف على المدى القصير لتكون في وضع أفضل لتنفيذ ما تُبنى عليه أيديولوجيتها: زعزعة استقرار أكبر مناطق ممكنة في العالم الإسلامي، و"الشرق العربي خاصة، ومهاجمة الغرب.

حقيقة، لا يكمن الفرق بين الفصيليين في الأهداف النهائية، ولكن في الإطار الزمني لتحقيق هذه الأهداف لذلك، وقبل عقد صفقات تبدو مريحة على المدى القصير مع الشيطان، يتعين على صانعي السياسة الغربيين التفكير فيما وراء الإطار الزمني لدورة أخبار الـ ٢٤ ساعة، والحملة الانتخابية الدائمة.



عملية العودة الدولية إلى سورية

د. مهدي دخل الله

بدأت عملية العودة الدولية إلى سورية تتسارع بوضوح . خطوات واقعية متسارعة تتخذها عدة دول مشيرة بذلك إلى ضوء أخضر من قوى الهيمنة الكبرى . صحيفة « الغارديان « البريطانية تحدثت عما أسمته « تعويم سورية من جديد « مؤكدة هذا التوجه ، ومن المعروف أن هذه الصحيفة لها صلات خاصة بالمخابرات البريطانية والأمريكية . ويمكن الإضاءة على بعض جوانب عملية العودة وفق الآتي :

أولاً - هي اعتراف واقعي من القوى التي نظمت ومولت الحرب على سورية بأن مشروعها وصل إلى حائط مسدود . ولو أن هناك احتمالاً بسيطاً لإعادة إحياء المشروع بنجاح لما شرعت هذه القوى بعملية العودة إلى سورية . ولا شك في أن الاعتراف الواقعي (de facto) - كما يشير علم العلاقات الدولية - أقل درجة من الاعتراف الرسمي والقانوني (de jure) ، إلا أنه في النهاية اعتراف قوي بسورية ، إضافة إلى أن الواقعي مقدمة لإعادة العلاقة رسمياً .

ثانياً — هي ليست مجرد عودة واقعية ، وإنما هناك عودة رسمية أيضاً . فهناك تواصل رسمي على مستوى حكومي مع لبنان والأردن . إضافة إلى إعادة فتح سفارات عربية ، وأخرى أوربية (اليونان ، الأرجنتين ، صربيا ، الهند ، وغيرها) . ولا شك في أن اتصالات ولقاءات وزير الخارجية د. فيصل مقداد مع عدد مهم من الوزراء في نيويورك يؤكد هذا التوجه .

ثالثاً — هي ليست منِّة من « العائدين إلى سورية « ، وإنما نتيجة حتمية لتصدي سورية لأعتى الحروب المعاصرة وأكثرها تحشيداً . والتصدي أكبر بكثير من الصمود ، وهو تصدٍ فاق في قوته القوة التي حُشدت في الحرب على الرغم من أن قوة الحرب كانت كبيرة جداً .

رابعاً — لأول مرة في التاريخ ينتصر بلد صغير بعدد سكانه وإمكاناته المادية والاقتصادية على أنواع الحروب كلها دفعة واحدة ، مع التأكيد على أننا ، حتى نهاية ٢٠١٥ ، كنا وحدنا ، وقد طلبنا الدعم من روسيا بعد التدخل الأمريكي المباشر على أرضنا (عدوان ٢٣ أيلول ٢٠١٤) ثم احتلال القوات الأمريكية لأراضٍ سورية .

خامساً — كل هذا يثبت أن الاستقلال الحقيقي — استقلال القرار — ممكن في هذا العصر على الرغم من الحلف الواسع الذي يجمع قوى الاستعمار الجديد وأتباعه ، وأن حماية هذا الاستقلال ممكنة إذا توافرت الإرادة اللازمة . والقيادة اللازمة .

سادساً — أن سورية كانت نواة حلف الاستقلال الذي يضم الآن معنا روسيا والصين وإيران وكوريا الديمقراطية وفنزويلا وكوبا ، وتميل إليه دول أخرى مهمة كالهند وبيلاروسيا وجنوب أفريقيا . ولابد هنا من التذكير بحجر الأساس لهذا الحلف ، وهو بيان موسكو الشهير الذي وقعه الأسد وبوتين كانون الثاني ٢٠٠٥ .

سابعاً — وكي نكون واقعيين لابد من الاعتراف بأن حلف الاستعمار الجديد ما زال قوياً لكن قوته في تراجع مقابل تصاعد قوة حلف الاستقلال الذي عززه التصدي السوري نوعياً .

ثامناً — إن عملية « العودة إلى سورية « مؤشر واضح إلى أن « عودة سورية إلى وضعها الطبيعي « أصبح أملاً عملياً وواقعياً . وعندها ستكون « الظاهرة السورية « مدرسة لكل شعب يحب أن يتعلم .

mahdidakhlala@gmail.com.

فرنسا وأمريكا ومنطقة المحيطين الهندي والهادئ بعد «أوكوس»

«البعث الأسبوعية» ـ عناية ناصر

اهتزت فرنسا بشدة يوم الخامس عشر من أيلول، عندما سمعت عن الشراكة الاستراتيجية الجديدة بين الولايات المتحدة وأستراليا بشأن العلاقة التي كانت باريس وكانبيرا تبنيانها بصبر على مدى العقد الماضي. كان من المعروف أن عقد الغواصة الفرنسية كان في مأزق، لكن لا يبدو أن أحدا يعلم أن الولايات المتحدة كانت تعمل مع الحكومة الأسترالية على خيار بديل لعدة أشهر. بالتأكيد لم يكن هناك أي ذكر لذلك في البيان المشترك الذي احتفى بقوة بالتعاون الثنائي الصادر عن باريس وكانبيرا مؤخرا، في ٣٠ آب. يحب الاستراتيجيون الأمريكيون التحدث عن تكتيك «الصدمة والرعب»، إلا أن الأمر عادة ما يتعلق حينها باستهداف عدو.

ومع ذلك، فإن الإعلان عن الشراكة الأمنية الثلاثية الجديدة بين المحيطين الهندي والهادئ نابع من اعتبارات استراتيجية مدروسة جيدا، مثل المكاسب السياسية الأمريكية والبريطانية؛ وتحت الاسم المختصر غير الأنيق «أوكوس» (أستراليا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة) تكمن الرغبة في زيادة حجم التعاون العسكري والتكنولوجي بين الدول الثلاث بشكل كبير، بهدف رئيسي هو مواجهة طموحات الصين في المحيطين الهندي والهادئ، حيث لا يتعلق الأمر بالغواصات فحسب، بل بإمكانية التشغيل البيني والذكاء الاصطناعي أيضا.

مدفع أطلق في المحيطين الهندي والهادئ

تشير هذه الشراكة أيضا إلى زيادة ملحوظة في القوة السياسية لـ «الأنغلوسفير»، والتي غالبا ما يشار إليها في فرنسا عن طريق الخطأ باسم «الأنغلوسكسونية». إن أهمية ذلك معروفة جيدا، لا سيما في الإطار السري للمعلومات الاستخبارية المتبادلة بين «نادي» العيون الخمسة (إلى جانب كندا ونيوزيلندا). في الواقع، احتفلت الدول المعنية مؤخرا بالذكرى السنوية السبعين لمعاهدة «الأنزوس»، والتي تضم أستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة؛ أما بالنسبة للندن، فإن مشاركتها تتناسب تماما مع استراتيجية بريطانيا العالمية في مرحلة ما بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وقد يؤذي ذلك الفرنسيين، لكن ليس من المفاجئ تماما أن يعلن مسؤول أمريكي كبير أنه ليس للولايات المتحدة حلفاء أفضل من المملكة المتحدة وأستراليا.

ومع ذلك، سيكون هناك ثمن يجب دفعه، فمن الآن فصاعدا، ستواجه فرنسا مشكلة في الوثوق بالتزام بايدن المتكرر بمشاركة أكبر للاتحاد الأوروبي في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، فضلا عن رغبة الولايات المتحدة في زيادة التنسيق بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، جنبا إلى جنب مع حلفائها في مواجهة الصين. لقد شجب وزيرا الخارجية والدفاع الفرنسيان، جان إيف لودريان وبارلي، محقين، «عدم الاتساق» في النهج الأمريكي. وما زاد الطين بلة أن الإعلان الأمريكي صدر في نفس اليوم الذي نُشرت فيه الاستراتيجية الأوروبية للمنطقة، ولذلك فإن حدث يوم الخامس عشر من أيلول «يزيد فعليا من الحاجة إلى إثارة وتوضيح مسألة الاستقلالية الاستراتيجية الأوروبية».

ذكرت صدمة باريس بشكل عكسي بما شعرت به الولايات المتحدة، في عام ٢٠٠٣، بشأن الموقف الفرنسي تجاه غزو العراق. لكن هذه المرة، سيستغرق الأمر أكثر بكثير من زيارة دولة، مثل زيارة هولاند، في شباط ٢٠١٤، لإصلاح الأضرار. علاوة على ذلك، يأتي ذلك بعد أسابيع قليلة فقط من أزمة الثقة التي سببها الانسحاب الأمريكي من كابول. وليس هناك شك في أن إيمانويل ماكرون يشعر بأنه محق بقوله إن منظمة حلف شمال الأطلسي في حالة حرجة. هكذا، يتم تأكيد الرواية الفرنسية التقليدية حول عدم الثقة بأمريكا، وقد اعتبر الوزيران لودريان وبارلي أن حدث الخميس «يزيد فقط فعليا من الحاجة إلى إثارة وتوضيح مسألة الاستقلالية الاستراتيجية الأوروبية». تتعلم باريس دروسا مهمة وهي تستعد لرئاسة الاتحاد الأوروبي!!

ضربة للتعاون الفرنسي الأسترالي

بلغت قيمة «عقد القرن» الخاص باثنتي عشرة غواصة قصيرة الزعانف من طراز باراكودا – وهي أنموذج من غواصة باراكودا الفرنسية الحالية يتم صنعه وفقا للمواصفات الأسترالية – ٣٥ مليار يورو. وقد تم تخصيص ٨ – ٩ مليارات يورو من ذلك المبلغ لشركة «نافال كروب»، التي تمتلك الدولة الفرنسية ٦٠٪ منها. وكان توقيع العقد قد تم في عام ٢٠١٦، وكان العمل على إنجازه يسير على قدم ساق بالفعل، بمشاركة عدة مئات من الأشخاص، بمن في ذلك العديد من الأستراليين في شيربورج. ولم يتخيل أحد في فرنسا أن واشنطن يمكن أن تقدم لكانبيرا بديلا حقيقيا، وذلك لأن العملاق الصناعي لوكهيد مارتن كان شريكا في صناعة أنظمة القتال، ولأن الولايات المتحدة ليس لها تاريخ في بيع الغواصات التي تعمل بالطاقة النووية.

لكن العرض الأمريكي يتجاوز ذلك، فواشنطن لن تزود أستراليا بهذه السفن فحسب، بل ستسلحها أيضا بصواريخ توماهوك ضمن الإطار الأوسع لتعاون ثلاثي كبير في مجال تقنيات الدفاع والأمن؛ ويعتبر ذلك أمرا جذابا بشكل مفهوم للأستراليين والأمريكيين، إذ أن الوضع في المنطقة أصعب بكثير مما كان عليه في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين؛ وهو ما يفسر، على سبيل المثال، سبب تحرك حتى حزب العمال الأسترالي لقبول الغواصات التي تعمل بالدفع النووي، لأنها توفر ميزة عسكرية حقيقية من حيث مدة الدوريات وسريتها. أما بالنسبة لفرنسا، فقد كان عقدها جزءا من منطق أوسع لبناء علاقة استراتيجية طويلة الأمد، تمتد لمدة خمسين عاما، – كما قالت باريس – وقد تم إرساء الأساس على امتداد عدة سنوات من الحوار غير الرسمي بين المسؤولين الحكوميين والخبراء. ولكن هذه الشراكة تم نسفها قبل أن تتحقق، ما أدى إلى وصف الفرنسيين لقرار كانبيرا بأنه «مخالف لنص وروح التعاون الذي ساد بين فرنسا وأستراليا». كانت هذه العلاقة إحدى ركيزتين للاستراتيجية فرنسية في المحيطين الهندي والهادئ، والأخرى مع الهند عبر صفقة رافال. الميزة الوحيدة لباريس هي أنها ستقلل من عدد منتقديها الذين يعتبرون أن استراتيجيتها الإقليمية تتماشى، على نحو خاطئ، مع استراتيجية الولايات المتحدة.

جرح في نظام عدم الانتشار

من المؤكد أن الدفع النووي له مزاياه، لكن التكنولوجيا حساسة لهذا السبب، حتى الآن، لم تقم أي دولة نووية ببيعها إلى دولة غير نووية (تمتلك ست دول فقط تكنولوجيا الدفع النووي: القوى النووية الخمس الرسمية والهند). ولم تفعل فرنسا ذلك أبدا على الرغم من الطلبات الواردة من البرازيل على سبيل المثال، وعلى الرغم من أنه سيكون من السهل نسبيا بيع طراز من الغواصات كانت تستخدمه بالفعل. بالإضافة إلى ذلك، لم تطلب أستراليا وقت توقيع العقد تكنولوجيا نووية. الآن، كسرت الولايات المتحدة المحرمات!! ماذا كان الأمريكيون سيفعلون لو فعلت فرنسا ذلك؟ هل يعني هذا أن أستراليا ستتمكن من الوصول إلى هذه التكنولوجيا، وتكرارها بعد ذلك؟ بالتأكيد لا!! وستكون الخبرة الفنية بمثابة «صندوق أسود» لن تتمكن أستراليا من الوصول إليه؛ وهذا يعني أيضا أنه لا خطر من انتشار الأسلحة النووية بالطبع، من شبه المؤكد أن المفاعلات ستستخدم اليورانيوم عالي التخصيب، وهي التكنولوجيا المستخدمة حاليا من قبل الأمريكيين والبريطانيين. وعلى العكس من ذلك، اختار الفرنسيون المسار الأكثر منطقية لليورانيوم منخفض التخصيب، والذي لا يمكن استخدامه بشكل مباشر لصنع قنبلة. وما يمكن أن يؤدي إليه كل ذلك هو إحياء النقاش في أستراليا حول صوابية وجود برنامج نووي مدني – أو حتى مدني وعسكري مشترك – لأن العرض الفرنسي لعام ٢٠١٦ لم يمنع من الناحية الفنية تطوير حلول دفع نووية وطنية على المدى الطويل .

إن التغييرات التي نشهدها لا تحمل أخبارا جيدة لمؤتمر الخمس سنوات القادم حول معاهدة عدم الانتشار، المقرر عقده في كانون الثاني ٢٠٢٢، لأن اليورانيوم عالي التخصيب يفلت من الضوابط الدولية عندما يتم استخدامه للدفع وحده؛ وهذا الاستخدام لا مفر منه، إذ من الصعب تخيل مفتشين أجانب يتحكمون في محركات أسطول غواصات دولة ما. وبالتالي، يمكن إزالة اليورانيوم عالي التخصيب من المنشآت الخاضعة للرقابة بزعم استخدامها في الدفع النووي، وهو نوع الخطوة التي يمكن أن تتخذها إيران، على سبيل المثال. علاوة على ذلك، يمكن لدول أخرى الآن بيع مفاعلات دفع مماثلة لدول غير نووية، مستشهدة بالسابقة الأمريكية الجديدة.

تحرك للأمام

أما بالنسبة لفرنسا، فعليها الآن المضي قدما، وهي بحاجة إلى تسوية النزاع التجاري بسرعة، وفوق كل شيء، فصله عن الإصلاح الضروري لاستراتيجيتها في المحيطين الهندي والهادئ.

وستظل فرنسا بالتأكيد قوة في المنطقة، كما ستظل أستراليا، من ناحية أخرى، بحاجة إلى الصين «جارتها الباسيفيكية»، فلا أحد يريد أن تكون بكين قادرة على الاستفادة من التوترات بين الدول الغربية؛ ومن هنا جاء الاهتمام، على سبيل المثال، بمواصلة المحادثات ليس فقط من خلال القنوات الرسمية، ولكن أيضا من خلال خبراء «المسار ٢»، ومديري وخبراء «المسار ١,٥».

وستطرح أسئلة خلال الثمانية عشر شهرا من المناقشات المخطط لها بين البلدان الثلاثة المعنية. وبالنسبة لبعض المشاريع والعمليات، هل سنرى فرنسا تنضم عرضيا إلى تنسيق «أوكوس»؟ أم هل ستضطر فرنسا بالأحرى إلى اللجوء إلى ألمانيا واليابان من أجل استراتيجيتها في المحيطين الهندي والهادئ؟ من المفارقات أن هذين البلدين كانا أيضا منافسين على عقد الغواصة الأسترالية. بالنسبة لفرنسا، سيكون ذلك أيضا درساً ومراجعة للذات لا مفر منها.

«أوكوس»: إعادة اعتبار متأخرة لـ«المعلّم».. أوروبا «عوامة على وشك الغرق»!!



"البعث الأسبوعية" ـ أحمد حسن

في إحدى دلالاته البعيدة وانعكاساته الزلزالية الجيوسياسية، أعاد تحالف "أوكوس" الاعتبار لحكمة وزير الخارجية، الراحل وليد المعلم، الذي اعتبر أوروبا، في مؤتمر صحفي مشهور منذ سنوات عدّة، خارج سياق الفعل السياسي، حتى المناسب لمصالحها، وبالتالي من الممكن تجاهلها.

الكثيرون في هذا العالم، وبينهم، على الأخص، ساسة ومفكرون!! عرب، سخروا طويلاً من هذا القول لأنهم لم يعوا حينها – ولن يعترفوا الآن – أن الراحل كان يتحدث عن المعنى، والوزن، الجيوسياسي للدول الفاعلة حقيقة، وليس الجغرافي؛ وأوروبا، بهذا المعنى، كانت قد أصبحت ومنذ زمن خارج التاريخ السياسي الفاعل للعالم، إلا بوصفها تابعاً "أميناً" للفاعل العالمي الأول – وهو واشنطن – الذي ورث، بنتيجة الحرب العالمية الثانية، دورها العالمي وورثها معه أيضاً، كجغرافية سياسية واقتصادية، رابطاً إياها به، سواء اقتصادياً عبر مشروع "مارشال" وتبعاته الالحاقية، أو عسكرياً عبر حلف "الناتو" حيث الكلمة الفعلية والأخيرة لـ "البنتاغون" تاركاً لأوروبا المقر الرسمي، الصوري، في بروكسل.

"عوامة على وشك الغرق"

بالتزامن مع "حكمة المعلم" هذه، وقبلها، كانت أصوات سياسية وفكرية عالمية، بعضها من القارة العجوز، تنعي الدور والمصير الأوروبي، وربما كان أكثرها دقة وتعبيراً وصف المدير العام السابق لصندوق النقد الدولي، دومينيك ستروس – كان، لمنطقة اليورو أنها "غواصة على وشك الغرق" في سياق حديثه عن مشاكل الاتحاد وعجزه، كمجموعة كبرى، عن إيجاد الحلول لها، وبالتالي كان هذا العجز تحديداً دليل ضعف واضح في عالم لا يُعنى إلا بالقوة، عالم بقيادة أمريكية جامحة اعتقدت أن المناخ الدولي مناسب جداً لـ "قرن أمريكي جديد" دون مشاركة من أحد إلا من موقع التابع الكامل حتى لو ظن نفسه حليفاً وشريكاً كما الاتحاد الأوروبي.

الأمثلة والأدلة كثيرة جداً، أبرزها "السطو" الأمريكي على العراق عام ٢٠٠٣ رغم المعارضة العالمية والأوروبية – الرسمي منها كان بدافع مصلحي لا أخلاقي – الشرسة والفاشلة. العودة المذلّة للرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك، ومعه الأوروبيين، للسير في ركاب الأمريكي في بغداد وبشأن سورية ولبنان، في انقلاب كامل على السياسة والمصالح، الفرنسية تحديداً، كانت دليلاً آخر، ولنتذكر هنا أن إصرار الرئيس الراحل حافظ الأسد على إشراك فرنسا في "تفاهم نيسان" اللبناني هو من أبقاها، ومعها أوروبا بالكامل، داخل الخارطة السياسية الفاعلة في الشرق الأوسط، وكان يقف خلف هذا الإصرار حينها محاولة سورية لإيجاد توازن دولي في لجنة التفاهم اعتماداً على الإرث الديغولي الاستقلالي الفرنسي، لكن ورثة ديغول سرعان ما باعوا "التركة" في "مولات" واشنطن السياسية.

عجز أوروبا بكاملها عن تغطية خروج أمريكا ترامب من الاتفاق النووي مع ايران دليل ثالث. دور أوروبا الذيلي في سورية وعجزها عن بلورة سياسة مصلحية خاصة بها رغم علمها الكامل بأن التأثير السلبي للعب بالتوازنات الجيوسياسية المعقدة في الشرق سينعكس سلباً عليها لا على واشنطن، دليل رابع. الانسحاب الأمريكي الكارثي من أفغانستان دون أخذ مصالح الأوروبيين بعين الاعتبار دليل خامس. الخضوع الأوروبي الكامل للاعتبارات الاقتصادية الأمريكية، سواء في الصناعات التنافسية أو في عمل المصارف وإخضاعها لقوانين واشنطن ذاتها، دليل سادس.

"أوكوس" هو الدليل الأحدث والأكبر والأخطر فالصفقة التي جرت بين واشنطن، وكانبيرا، ولندن ليست أقل من زلزال استراتيجي جعل المتابع يتمكّن، بحسب تعبير "ذي إيكونوميست" من "رؤية الصفائح التكتونية للجغرافيا السياسية وهي تتحرّك أمام عينيه"، "الصفائح" ذاتها تحركت مرة جديدة لتشكل رديفاً آخر لـ "أوكوس" ضم الهند واليابان إلى أمريكا وأستراليا، لنكون أمام تغيرات ذات طابع عميق في البنية الجيوسياسية العالمية لكن بتهميش واضح لأوروبا هذه المرة.

"أضرار جانبية"

وبطبيعة الحال فإن هذه "الصفائح" تحرّكت، فعلياً، نتيجة استدارة الآلة البيروقراطية المعقّدة للجهاز الامبراطوري الأمريكي الضخم بكل حمولته العدائية، وبكل أعطابه وخسائره التي مُني بها في معاركه المتعددة حول العالم، باتجاه عدو جديد –الصين- لكن، وهنا المفارقة، كان لهذا "التحرّك" أن ترك دولة مثل فرنسا –حليفة أطراف "أوكوس" كلهم- بحسب كلام أحد المحلّلين الغربيين "تعدّ، لسوء الحظ، أضراراً جانبية"!! بيد أن أوروبا كلها كانت هنا أضراراً جانبية في الواقع، خاصة، وتلك مفارقة دالّة للغاية، أن استراتيجية الاتحاد الأوروبي لمنطقة إندو- باسيفيك التي يشملها "أوكوس" كانت جاهزة في اليوم الذي أعلن عنه هذا الحلف!! وتلك إشارة سلبية للغاية ودليل غياب كامل، استخباراتي على الأقل، عن الساحة السياسية العالمية.

"ليبلطوا البحر"

المفارقة أن استراليا كانت قد فهمت "حكمة المعلم" بكامل تفاصيلها، فبينما هي تتابع مع باريس تفاصيل صفقة الغواصات كانت، في الآن ذاته، تبحث بديلها مع واشنطن غير آبهة بأي ردة فعل فرنسية، وبالتالي أوروبية، ولسان حالها يقول: "ليبلطوا البحر".

وبالفعل لم يكن أمام الفرنسيين سوى "تبليط البحر"، فقد تمخض الغضب الفرنسي العارم عن استدعاء سفيري باريس في كانبيرا وواشنطن، ثم ـ إعادتهم، مع إصدار بعض التصريحات "المدويّة" التي تتّهم أستراليا والولايات المتحدة بـ "الكذب والازدواجية"، وتعتبر بريطانيا "انتهازية"، وتهدّد بما لا تقدر عليه مثل "التفكير في تحديد المفهوم الاستراتيجي الجديد لحلف شمال الأطلسي"، ثم ـلا شيء جدّيا آخر!!.

وللحق فهذه هي، في عالم الواقع، كلّ الأسلحة التي تمتلكها باريس، ومعها أوروبا، إزاء ما حدث، فبالمحصلة هذه مكانة القارة العجوز الحاليّة والحقيقيّة في عالم اليوم، لأنها، في عالم السياسة الواقعي والجاف، لا تتقدم إلا إلى الخلف، فمن حلم الاتحاد الأوروبي كتكتل سياسي واقتصادي عالمي منافس يقدمها كقوة ثالثة بين "جباري" القرن الماضي، إلى حلم العلاقة المتوازنة مع أمريكا الذي سقط بضربة "أوكوس" القاضية، حتى أن حفلة عودة أمريكا، بحسب أحد الكتاب، "والتي جمعت بايدن مع الحلفاء الأوروبيين في مقر حلف الناتو في بروكسل تبدو وكأنها حدثت منذ وقت طويل، وليس في حزيران الحالي".

على حافة الهاوية

والحال إن أوروبا التي حلمت بدافع من حربي القرن الماضي، اللتين دارت رحاهما على أرضها، باستعادة مجد الإمبراطورية الرومانية تحت اسم جديد "الاتحاد الأوروبي"، بدءاً بتأسيسٍ المجموعة الأوروبية للفحم والصلب، ودوله الست حينها، وصولاً إلى التوسع السياسي والاقتصادي نحو دول أوروبا الشرقية، تقف اليوم على حافة الهاوية، لأسباب بنيوية وموضوعية متشابكة، بعضها، على ما يقول أحدهم، بسبب "النظام السياسي القائم على الاقتراع العام، فالزعماء الأوروبيون مضطرون إلى مراعاة مصالح شعوبهم التي تنتخبهم وتحاسبهم على ما قدموه لبلادهم وشعوبهم، وليس على ما ضحوا به لأجل المصالح الأوروبية العليا".

بعضها الآخر يؤكد أن العامل الأبرز يتمثل في "ثقل آليات اتخاذ القرار على الصعيد الأوروبي، حيث لا تسمح تلك الآليات بالتفاعل مع القضايا المستجدة بالسرعة والفعالية التي يقتضيها واقع الحال" نتيجة رواسب التنافس التاريخي بين "الممالك" الأوروبية، فيما بعضها الثالث، والأهم، يتعلق بأزمة النظام الرأسمالي في طوره المالي المصرفي، الناجم عما يدعى بالليبرالية الاقتصادية والمالية المنفلتة من كل قيد، وتلك قصة أخرى ليس هذا مكانها.

بيد أن ما سبق، مجتمعاً، دفع بشعوب أوروبا للتمسك أكثر بحدود "وستفاليا" ضداً مع حلم الاتحاد، ونحن نسمع اليوم كيف تتساءل هذه الشعوب، وخاصة في دول مثل فرنسا وألمانيا، عن جدوى، وأحقية، صرف "أموالنا" على شعوب دول أخرى ولو كانت أوروبية؟؟!!.

حتى أنت يا "بروتوس"

بهذا المعنى، نجد أن أوروبا السياسية ذاتها منقسمة على نفسها: بريطانيا مثلاً هي ذيل الكلب الأوروبي الدائم لواشنطن. الدانمارك، كما كشف تحقيق لتلفزيونها الرسمي، أجراه بالتعاون مع وسائل إعلام أوروبية كبرى، جعلت من نظام كابل اتصالاتها البحري أداة للتجسس الأمريكي على باقي "الأخوة".

"الأخوة" هؤلاء كانوا، بحسب التحقيق، "كبار المسؤولين الأوروبيين في السويد والنروج وفرنسا وألمانيا، بينهم، على سبيل المثال، المستشارة الألمانية، أنغيلا ميركل، وزير الخارجية الألماني السابق، فرانك فالتر شتاينماير، وحتى. زعيم المعارضة الألماني آنذاك، بير شتاينبروك، أي كل أطياف السياسة الألمانية.

ردود الفعل الأوروبية، والألمانية، تحديداً، كانت باهتة للغاية وليست على قدر الحدث أبداً، فهي لم تتجاوز بعض العتب من نوع: "هذا غير مقبول"، و"لا مكان بيننا للشكوك"!!.

سويسرا أيضاً، فضلت دعم المجمع الصناعي العسكري الأمريكي على دعم صناعات السلاح الفرنسية، شقيقتها الأوروبية المفترضة. صفقة شراء المقاتلات الأميركية بدلاً من الفرنسية كانت طعنة أخرى في القلب الأوروبي. الطعنات "البروتوسية" المتبادلة أكثر بكثير.

خلاصة القول

"أوكوس"، بمعنى ما، كان كاشفاً لحقيقة ضعف أوروبا لا منشئاً لها، اليوم، وبالتالي كلام "المعلم" كان استباقياً في كشف هذه الحقيقة علناً.

وبالطبع، لا أحد من ساسة وكتاب "مالنا غيرك يا مولانا" سيعترف بحكمة "المعلم". السبب واضح وضوح الشمس: "الحقد هو أسوأ مستشار في السياسة"، ويبدو أنه وباء عام يتسابق مع "كورونا" في سرعة الانتشار ومداه!!.

الراحل بوتفليقة.. قاد الجزائر نحو السلام والاستقرار وأسقط أقنعة «الإخوان»

"البعث الأسبوعية"ـ هيفاء علي

توفي الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في ١٧ ايلول الجاري، عن عمر ناهز ٨٤ عاما. وهو من رجالات الدولة الأقوياء النادرين الذين واجهوا بقوة وحزم المحاولات الغربية الرامية لزعزعة استقرار الجزائر، وأنقذ البلاد من إرهاب وبراثن الجماعات المسلحة عند فوزه بأول ولاية رئاسية في نيسان ١٩٩٩. مصدر قوته كان قدرته على إقناع محاوريه، جعل أصدقاءه يضحكون وأذهل معجبيه بعيونه الزرقاء وابتسامته الساحرة. ورغم أنه غادر الحكم وانسحب من الحياة السياسية قبل عامين بعد أكثر من ستين عاما قضاها في خدمة بلاده بين الثورة التحريرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢)، وأعوام الاستقلال، وبعد مرضه، فقد شاهد العالم أجمع جموع الجزائريين الغفيرة التي خرجت وشاركت في موكب جنازته حيث أقيمت له جنازة رسمية وشعبية لا تقل أهمية عن جنازة ملهمه ورفيق دربه الرئيس الراحل هواري بو مدين، ما يدل على حجم شعبيته الكبيرة ومحبة الشعب الجزائري له، حتى عندما خرجوا ضد ولايته الخامسة. ويعود الفضل له في ميثاق السلم والمصالحة الوطنية عام ٢٠٠٥، الذي شكل بداية نهاية ما كان يعرف بـ "العشرية السوداء"، أي فترة التسعينيات في القرن الماضي.



بدأ بوتفليقة مشواره السياسي كـ "أصغر وزير في العالم" عقب استقلال الجزائر، في عهد الرئيس الراحل أحمد بن بلة، عندما تولى حقيبة الشباب والرياضة، ثم "أصغر وزير خارجية في العالم" في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين، إلى أن بات "أطول رؤساء الجزائر حكما"؛ وعندما وصل بوتفليقة إلى الحكم، كانت البلاد لا تزال تعيش على وقع مجازر الجماعات الإرهابية، ليباشر برنامجه في استعادة الأمن وإخراج الجزائر من "العشرية السوداء" التي عرفت مقتل أكثر من ٢٥٠ ألف جزائري، وخسائر مادية تفوق ٤٠ مليار دولار.

إلى جانب هواري بو مدين

لأكثر من سبب، خدم الحظ هذا الشاب الجزائري المولود في وجدة بالمغرب، عام ١٩٣٧. ففي التاسعة عشرة من عمره، بعد عشرين شهرا على اندلاع الكفاح المسلح، تم تدريبه، في حزيران ١٩٥٦، مثل جميع الشباب الجزائريين، في السلطنة الشريفية من قبل رئيس الولاية "٥" عبد الحفيظ بوسوف، إلا أن المدرب العسكري آنذاك، هواري بومدين، استبعده بسبب صغر حجمه، وأرسله بصفة "مراقب" إلى مقاتلي وهران عبر الحدود، يطلع رؤساء القبائل على ما يحدث على الأرض. في آب ١٩٥٧، بحث خليفة بوسوف، هواري بومدين، عن سكرتير "يمكنه الكتابة" لتدوين أوامره، ليبقى معه على مدى أكثر من عقدين، وحتى وفاته.

وبسرعة كبيرة تخصص في العلاقات الخارجية وأشرف على فتح جبهة ثانية ضد الجيش الفرنسي في مالي، وحاول إغواء القادة "التاريخيين" المسجونين في فرنسا للالتحاق بـ بومدين. وأصبح عضو مجلس النواب عن تلمسان، ومن ثم وزيرا للشباب مع إعلان الاستقلال عام ١٩٦٢، ووصل إلى وزارة الخارجية عام ١٩٦٣.

في حزيران ١٩٦٥، وقع الانقلاب ضد الرئيس أحمد بن بلة، وهو الانقلاب الذي حمل بومدين إلى الرئاسة. في هذه الأثناء، بقي بوتفليقة محافظا على حقيبته، مؤكداً صوت الجزائر في الخارج. وفي عام ١٩٧٠، بدأ مفاوضات مع باريس حول ملف النفط الجزائري، لكن المباحثات فشلت، لتبادر الجزائر إلى تأميم قطاع الطاقة، في ٢٤ شباط ١٩٧١.

بوتقليقة إلى الأمم المتحدة

فترة السبعينيات ستكون صعبة على الوزير الشاب. فمع انعقاد قمة عدم الانحياز في الجزائر العاصمة، عام ١٩٧٣، أصبح الرئيس بومدين أحد أكبر الأصوات في العالم الثالث. وفي عام ١٩٧٤، تم انتخاب بوتفليقة رئيسا للجمعية العامة للأمم المتحدة، وانتقل إلى نيويورك مدة عام

في عام ١٩٩٤، كان الجنرالات، الذين كانوا يتصارعون في ميدان حرب أهلية شرسة، يبحثون عن مدني لقيادة البلاد. ووقع اختيارهم على الشاب عبد العزيز بوتفليقة الذي رفض أن يعين من قبل المجلس الانتقالي، وقال عندها: "إذا كان الجنود يريدونني، فليسموني!". بعد خمس سنوات، أجبرت الأجهزة الأمنية الرئيس اليمين زروال، على الاستقالة. ومرة أخرى، جرى البحث عن خليفة مدني معروف للعالم الخارجي. وهذه المرة، قبل بوتفليقة المنصب عقب إجراء انتخابات كان فيها المرشح الوحيد بعدما انسحب الآخرون.

ومن بين ولايات الرئيس بوتفليقة الأربع، كانت الأولى هي الأكثر نجاحا. حيث حرر نفسه من الوصاية العسكرية، وانتهى من استعادة السلم الأهلي الذي تضرر إلى حد كبير من قبل أسلافه، وأطلق دراسات حول إصلاح الدولة والعدالة، وأعاد المالية العامة، وللجزائر مكانتها على الساحة الدولية.

الولاية الثانية بدأت صعبة، حيث أقيل علي بن فليس، رئيس الوزراء والأمين العام لجبهة التحرير الوطني الذي خاض الانتخابات ضده، وأحيل قائد الجيش على التقاعد وحل محله الجنرال أحمد قايد الملقب بـ "صلاح". في هذه الأثناء، بدأت أسعار المشتقات النفطية بالارتفاع، وغرقت الجزائر بالدولارات بما يفوق أحلامها. وفي مواجهة هذه المشكلة، أصغى بوتفليقة لنداء وزير ماليته، وأنقذ بلاده على وقع تصفيق الشعب الذي أذلته وأفقرته خطط صندوق النقد الدولي قبل عشر سنوات. تم سداد الدين الخارجي حتى آخر دولار، لكن ثمة إجراءات قسرية جعلت حجم الإنفاق يقفز إلى أعلى المعدلات بدءا من العامين ٢٠٠٥ و٢٠٠٦، ما مكن من الحفاظ على السلام الاجتماعي من خلال دعم السلع الأساسية والوقود والطاقة، وإطلاق سياسة إسكان طموحة ترقى إلى تمويل بناء مئات الآلاف من المنازل الممنوحة مباشرة للمستأجرين الذين لا يستطيعون دفع الإيجار.

تميزت ولايته الثالثة (٢٠٠٩ - ٢٠١٤) برفاهية مالية غير مسبوقة: الأموال تتدفق بحرية، والأسواق عملاقة، وبوتفليقة، الذي يريد افتتاح المشاريع، يناشد الصينيين الذين لبوا النداء وهرعوا إلى مواقع البناء الرئيسية - بما في ذلك الطريق السريع بين الشرق والغرب، حيث أثبتت الصين نفسها في الجزائر كمورد رئيسي للبلاد.

في نيسان ٢٠١٣، تعرض بوتفليقة لجلطة دماغية تم نقله على أثرها إلى مستشفى" فال دو غراس"، حيث قضى أسابيع طويلة في فرنسا. وقبل أقل من عام على الانتخابات الرئاسية، كادت السلطة تنقسم بعدما أعلن رئيس المخابرات والأمن ترشح الرئيس لولاية رابعة. نشبت معركة ضارية، لكن بوتفليقة فاز في الانتخابات. وفي الواقع لم يعد هو في السلطة ولكن شقيقه سعيد، وهو أكاديمي هادئ، سيتعين عليه مواجهة أسوأ أزمة نفطية بعد الحرب، حيث انهارت الأسعار وشهدت البلاد انخفاضا في عائداتها من النقد الأجنبي. ولمدة خمس سنوات، اكتفت الحكومة بالاعتماد على القوة المالية التي تم تشكيلها خلال "العقد المجيد" (ما يقرب من ٢٠٠ مليار دولار). أصيب سعيد بدوره بالمرض، واعتمد أكثر فأكثر على مجموعة من رجال الأعمال الذين نهبوا الخزانة العامة بألف طريقة: قروض بنكية بدون فائدة، إعانات، تبرع بالأراضي العامة، تخفيضات ضريبية وغير ذلك.

الرئيس الذي كشف حقيقة الإخوان

ومن بين ما يحسب للرئيس بوتفليقة كشفه حقيقة المعارضة الجزائرية، خاصة الإخوان المسلمين منها، حيث تمكن خلال فترة حكمه من إسقاط القناع عن المعارضة الإخوانية، بعد أن استدرجها إلى الحكومة، وإلى تحالف رئاسي كان الإخوان جزءا منه من خلال "حركة مجتمع السلم" مع جبهة التحرير والتجمع الوطني الديمقراطي. كما نجح، عام ١٩٩٩، أيضا في كسب "أشرس معارضيه"، وأبرزهم وزيرة الثقافة السابقة خليدة تومي، ووزير التجارة الأسبق عمارة بن يونس، ووزير الأشغال العمومية الأسبق عمار غول، وسعيد سعدي الرئيس السابق لحزب "التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية"، وباتو من أكبر المؤدين له. وبحسب المراقبين، فإن سياسة بوتفليقة، ورغم أنها صدمت الجزائريين، إلا أنها كشفت عن زيف غالبية المعارضة ونفاق الإخوان "الموالين نهارا والمعارضين ليلا".

لقد بدد موكب تشييع بوتفليقة، وجنازته المهيبة، ووداع الجزائريين الحاشد له، كل الأقاويل التي حاول البعض الترويج لها حول مرحلة قوية وحاسمة ومشرقة في تاريخ الجزائر، يجسدها جيل بوتفليقة، وقبله هواري بو مدين، وأثبت أن هذه المرحلة لا تزال راسخة في ضمير ووعي الجزائريين، ولا يمكن محوها من الذاكرة بالسهولة التي يتصورها البعض. مرحلة إشراق ونضال ووحدة وطنية رغم كل الاضطرابات التي شهدتها البلاد، وتشهدها المنطقة العربية، في الآونة الأخيرة.

بايدن في الأمم المتحدة.. نفاق وسخرية!!

"البعث الأسبوعية" ـ تقارير

ألن يكون ممتعا إن يكون لدى مندوبين الدول في الجمعية العامة للأمم المتحدة أزرار في مقاعدهم لقياس رد فعل الجمهور مباشرة على الخطب التي يلقيها قادة العالم من المنصة؟ نجرؤ على القول إن الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي جو بايدن، قبل أيام، كان سيولد الكثير من التذمر والقهقهة لما تتضمنه من نفاق وازدواجية.

وجه بايدن نداء للدبلوماسية العالمية والدول "للعمل معا كما لم يحدث من قبل" لحل مجموعة من التحديات الملحة، بما في ذلك انعكاسات التغير المناخي والأمراض الوبائية، حتى أنه كانت لديه الجرأة المزدوجة بالتفكير بإدانة أولئك الذين يسيئون استخدام ميثاق الأمم المتحدة من خلال "الدوس [عليه] في سعيهم وراء سلطة سياسية عارية".

خلال سبعة عقود من تأسيس الأمم المتحدة في عام ١٩٤٥، لم تكن هناك دولة أخرى في حالة حرب مثل الولايات المتحدة تحت ستار ذرائع مختلفة، من محاربة الشيوعية إلى محاربة الإرهاب، إلى الدفاع عن الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان. وبغض النظر عن هذه الادعاءات الجوفاء، فإن الحقيقة هي أنه ما من دولة أخرى انتهكت ميثاق الأمم المتحدة بشكل اعتيادي، أو بوقاحة، مثل الولايات المتحدة، عبر حروب واعتداءات في كل عقد منذ العام ١٩٤٥.

صعد الرئيس بايدن من المنصة، معلنا: "أقف هنا اليوم، حيث للمرة الأولى منذ ٢٠ عاما لا تكون الولايات المتحدة في حالة حرب. لقد قلبنا الصفحة"!!

حسنا. الله أكبر!

وتابع بايدن: "لقد أنهينا هذه الفترة من الحرب التي لا هوادة فيها، ونحن نفتتح حقبة جديدة من الدبلوماسية التي لا هوادة فيها".

كان يشير إلى نهاية الحرب الأمريكية في أفغانستان الشهر الماضي. هكذا تماما، فإن الهزيمة المخزية والتراجع المخزي للجيش الأمريكي وحلفائه في الناتو من الدولة الواقعة في آسيا الوسطى يتم تقديمه على أنه يفضي، بطريقة ما، إلى حقبة جديدة من الدبلوماسية المستنيرة.

على مدى العقدين الماضيين على الأقل، كانت الولايات المتحدة في حالة هياج من الحروب الإجرامية والتدخلات العسكرية، ليس فقط في أفغانستان ولكن أيضا في يوغوسلافيا السابقة والعراق وليبيا وباكستان واليمن وسورية والصومال والعديد من الدول الأفريقية الأخرى؛ ويستمر بعض هذه العمليات العسكرية، كما هي الضربات الجوية الأمريكية على سورية والعراق والصومال. إذن، ما الذي يتحدث عنه بايدن عندما يقول: "انتهى عهد الحرب التي لا هوادة فيها"، والتي لا تزال قائمة فعلياً؟

قال بايدن إن " القوة العسكرية يجب أن تكون أداة الملاذ الأخير لدينا"، وزعم أن واشنطن "لا تسعى إلى حرب باردة جديدة، أو إلى عالم منقسم إلى كتل جامدة".

الرئيس الأمريكي لديه الشجاعة للتعبير عن مثل هذه الكلمات الساخرة والمخادعة بعد أيام فقط من كشفه النقاب عن تحالف عسكري جديد مع المملكة المتحدة وأستراليا - المعروف باسم "أوكوس" - والذي يهدف إلى مواجهة الصين. ومن المقرر أن تتسلح أستراليا بغواصات تعمل بالطاقة النووية للانضمام إلى السفن الحربية الأمريكية والبريطانية التي تستهدف الصين بالفعل.

حقيقة، ما من معنى لخطاب بايدن الوردي حول الدبلوماسية بسبب تصعيد إدارته للعداء تجاه الصين، إذ بقيادة بايدن، أرسلت الولايات المتحدة المزيد من السفن الحربية إلى بحر الصين الجنوبي باسم "حرية الملاحة"، وتعمل واشنطن أيضا على تأجيج التوترات حول تايوان من خلال تسليح الجزيرة وتشجيعها على إعلان الانفصال عن سلطة بكين السيادية. وبعد يومين من خطابه في الأمم المتحدة "تمجيدا للدبلوماسية"، عقد بايدن قمة لزعماء دول الرباعية في البيت الأبيض (أمريكا وأستراليا والهند واليابان)؛ وكما هو الحال مع تحالف "أوكوس"، حددت المجموعة الرباعية لنفسها مهمة "مواجهة الصين" بقيادة الولايات المتحدة.

والواقع أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة في عهد بايدن هي استمرار لسياسات أسلافه ترامب وأوباما وغيرهم. السياسة الأمريكية هي في الأساس واحدة من أدوات إحياء الحرب الباردة التي كانت قائمة مع الاتحاد السوفيتي إلى الفترة الحالية ضد الصين وروسيا.

لقد شجبت كل من الصين وروسيا مرارا وتكرارا سياسات الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين لإدامة عقلية الحرب الباردة في العلاقات الدولية. ولكن هذا التقسيم الاستقطابي ضروري لتبرير العسكرة الأمريكية والسلوك الإمبريالي، إذ تحتاج الولايات المتحدة ووكلاؤها في الناتو إلى أعداء من أجل الحفاظ على نزعتهم العسكرية المفرطة والمتوحشة.

عجباً، كيف يتحدث بايدن عن انتهاء "حقبة الحرب" فيما تنفق الولايات المتحدة حوالي ٧٧٨ مليار دولار سنويا على قواتها العسكرية. إن من السخف الحديث عن الدبلوماسية والتعاون في سياق هذه النزعة العسكرية العملاقة. والدليل أنه في حين انسحبت الولايات المتحدة من أفغانستان، ها هي تستعد لحربها القادمة ضد "منافسي القوى العظمى": الصين وروسيا. لماذا أيضا تشكل واشنطن كتل عسكرية إقصائية مثل "أوكوس" و"الرباعية" التي تهدف علانية إلى عزل واحتواء الصين؟ هذا هو العدوان.

إذا كان بايدن صادقاً في مناشدته للدبلوماسية العالمية، لماذا لا يجلس بايدن مع قادة روسيا والصين وأعضاء آخرين في مجلس الأمن الدولي للتعاون في مجال الأمن العالمي؟

منذ توليه السلطة في البيت الأبيض، عقد بايدن قمة واحدة مع بوتين استغرقت ساعتين في جنيف، في حزيران، وكان هناك القليل من مفاوضات المتابعة، ولا يزال يتعين على بايدن عقد قمة مع نظيره الصيني شي جين بينغ. حتى الآن، تلقى الرئيسان مكالمتين هاتفيتين خلال تسعة أشهر، فهل من المفترض أن يكون ذلك ما يعنيه بايدن بـ "عصر الدبلوماسية التي لا هوادة فيها"؟

كما هو حال رؤساء الولايات المتحدة السابقين في خطاباتهم المطولة إلى الأمم المتحدة، لا تعدو هذه الخطابات كونها أكاذيب عارية ومشبعة بإشارات فضيلة منافقة، فالحروب والعدوان الأمريكي مستمران بلا هوادة، والعداء غير العقلاني الذي تبديه واشنطن وأتباعها باستمرار تجاه موسكو وبكين يقود العالم إلى حرب، وهذه المرة يحتمل أن تكون حريقا نوويا.

عندما يقوم رئيس أمريكي بتقليص النزعة العسكرية الأمريكية الهائلة، وينهي الاحتلال غير الشرعي لعدة دول، وينهي الضربات الجوية على الدول الأجنبية، وينهي العقوبات المدمرة ضد الدول الأخرى، وينهي العداء غير العقلاني وغير المبرر تجاه الدول الأخرى، ويبدأ في الدعوة إلى حوار غير مشروط ومفتوح. بين أنداد على أساس الاحترام المتبادل وميثاق الأمم المتحدة، فربما نعطي بعض المصداقية للنداءات الدبلوماسية. وحتى ذلك الحين، كل هذا مجرد مواقف مزدوجة تهدف إلى إخفاء الخداع الإجرامي المهيمن.

بعد أن تجاوزت حاجز الـ ٥٠٠ مليون ليرة..

ارتفاع أسعار العقارات تنتزع لقب «أم الفقراء» من محافظة حماة..!



"البعث الأسبوعية" .. ذكاء أسعد

لم تشفع صفة "أم الفقراء" لمحافظة حماة التي طالما تميزت بهذه الصفة نظراً لما كانت تشهده من توازن بين الأسعار والدخول، ولكن يبدو أن هذه المدينة الجميلة تخلت خلال الفترة الأخيرة عن ذاك اللقب المميز، بل وباتت تتفوق بأسعارها أحياناً على كثير من المدن السورية الأخرى، ويتبدى هذا الأمر واضحاً من خلال ما تشهده المدينة حالياً من ارتفاع قياسي بأسعار العقارات، مترافقا مع مضاعفة قيم إيجارات المنازل والمحال التجارية، ما جعل التفكير بشراء منزل أو محل تجاري أشبه بالحلم وقد يكون الأمن الذي عاشته المدينة في الأزمة أحد أهم أسباب ارتفاع أسعار العقارات نظراً للجوء الكثير من أهل الريف ومدينة إدلب إلى المدينة بسبب الأعمال الإرهابية التي دمرت كثيراً من أريافها، وبالتالي زيادة الطلب على البيوت والمحال، ما شكل بالمحصلة ضغطاً كبيراً على المدينة ورفع الأسعار بشكل جنوني.

الأرقام تتحدث

في جولة على بعض المكاتب العقارية في المحافظة لوحظ تفاوت بأسعار العقارات من منطقة لأخرى، وكذلك اختلاف في أسعار العقارات بين المدينة والريف، فقد ذكر أحد أصحاب المكاتب أن أسعار العقارات في المدينة تعتبر مرتفعة جداً قياساً بمستوى الدخل، إذ تتميز أحياء الشريعة، والبعث، والبرناوي، والمدينة، عن غيرها، حيث يصل سعر منزل بمساحة ١٠٠ متر على الهيكل لحوالي ٣٠٠ مليون ليرة، ويتجاوز سعر المنزل الجاهز للسكن ذي الكسوة الجيد حاجز الـ ٥٠٠ مليون.

أما بالنسبة لأحياء كرم الحوراني، وغرب المشتل، ومركز المدينة، فقد يتجاوز سعر منزل مساحته ١٠٠ متر على الهيكل الـ ٢٠٠ مليون، والجاهز للسكن حوالى الـ ٤٠٠ مليون، في حين أن الأسعار في أحياء القصور، وجنوب الملعب، والحاضر، وضاحية أبي الفداء، والعليليات، أقل من نظيراتها السابقة إذ يبلغ سعر منزل مساحته ١٠٠ متر على الهيكل حوالي ١٥٠ مليون، والجاهز قد يصل إلى ٢٥٠ مليون.

أما بالنسبة للريف، فقد ذكر صاحب مكتب عقاري أن أسعار العقارات في الأرياف متفاوتة من منطقة لأخرى وليس هناك ضوابط أو معايير مستقرة إلى حد ما؛ وعلى سبيل المثال، قد يصل سعر منزل بمساحة ١٠٠ متر في مصياف على الهيكل لحوالي ٧٠ مليون والجاهز للسكن يتجاوز الـ ١٥٠ مليون وتتقارب أسعار سلمية مع أسعار مدينة مصياف؛ وكذلك الحال بالنسبة للسقيلبية، حيث بيعت بعض المنازل التي تعتبر ذات إكساء جيد وموقع مميز بحوالى ١٥٠ مليون، ما يعني أن أسعار العقارات في الأرياف تنخفض بشكل كبير لأسباب مختلفة، أهمها البعد عن المدينة وقلة الخدمات والأراضي الزراعية الخارجة عن المخطط التنظيمي.

ولفت أصحاب المكاتب العقارية إلى الارتفاع الكبير بإيجارات المنازل والمحال التجارية توازياً مع ارتفاع أسعار العقارات، فقد يصل إيجار منزل في محافظة حماه لحوالي ٣٠٠ ألف ليرة سورية مع اختلافها في الريف من منطقة لأخرى، ومن شخص لآخر، لكنك لن تجد منزلا بأقل من ٥٠ ألف ليرة سورية.!

أسباب

نائب رئيس مجلس مدينة حماه، مرهف حاج زين، بين لـ "البعث الأسبوعية" أن هنالك أسبابا متعددة لارتفاع أسعار العقارات في المدينة وأهمها ازدياد عدد الوافدين إليها، مما شكل ضغطاً سكانياً أدى لارتفاع كبير بأسعار المنازل والإيجارات، فضلاً عن ارتفاع أسعار مواد البناء من إسمنت وحديد ومواد إكساء بكافة أنواعها أضعاف ما كانت عليه قبل عام، بالتوازي مع ارتفاع أجور اليد العاملة من نجارة وبلاط وسباكة، مشيراً إلى أن هذه الأسباب حدت من حركة بناء جديدة في المدينة إضافة إلى ارتفاع سعر متر الأرض المعد للبناء، ولفت زين إلى أن الذين اشتروا العقارات بسعر مرتفع تمسكوا به ولا يمكنهم بيعه بسعر أقل، وأن ارتفاع أسعار العقارات ليس مقتصراً على المدينة، إنما أيضا في المناطق والأرياف ولكن بنسبة أقل.

رأي

يعتبر الكثيرون أن القانون الخاص بالبيوع العقارية، والقاضي باستيفاء الضريبة حسب القيمة التخمينية الرائجة للعقار، كان له تأثير كبير على حركة البيوع، خاصة وأنه يحظر على دوائر السجل العقاري وكتاب العدل وكل جهة مسؤولة عن تسجيل الحقوق العينية العقارية أن توثق أي حق عيني عقاري ما لم يبرز أصحاب العلاقة براءة الذمة من الدوائر المالية ذات العلاقة، إلى جانب اشتراط إيداع ٥ ملايين ليرة سورية في أحد المصارف لتوثيق عقد العقار وإصدار وزارة المالية قرارها، في حزيران ٢٠٢١، باعتبار أن عملية "النكول"، أي الرجوع عن البيع بمثابة عملية بيع واجبة التكليف بضريبة البيوع العقارية.

ورأي آخر

في المقابل، يؤكد العديد من الحقوقيين الذين التقتهم "البعث الأسبوعية" أن تأثير هذا القانون كان محدوداً جداً؛ وفي الوقت الذي يعتبرونه منظماً لعمليات البيوع، لم ينكروا سلبياته، حيث رأى بعضهم أن هناك مشكلات كبيرة في آلية تنفيذ القانون، فكثيراً ما يتم اعتماد تخمين بعض العقارات بأعلى مما هي عليه قيمتها الرائجة، والكثير من موظفي المالية يخطئون بحساب الضريبة وبأرقام ليست بالقليلة فيدفع البعض ضرائب بالملايين لا يعرفون كيف تم تقديرها وحسابها، إضافة إلى عدم وجود كوادر مؤهلة للتعامل مع القانون الجديد كونه يحتاج لخبرة كبيرة بالعمل على الحاسوب.

جمود

مما لاشك فيه أن ارتفاع أسعار العقارات بهذا الشكل أدى لجمود حركة السوق، حيث أكد مدير المصرف العقاري في حماه، أدمون حنا، أن القرارات الأخيرة والضرائب المفروضة على حركة نقل ملكية العقارات أثرت بشكل كبير على أسعار العقارات وقللت عمليات البيوع، كما انعكست على عدد القروض كقروض الشراء والإكمال المطلوبة لدى المصرف، إضافة إلى شكوى المقترضين من عدم توفر مبلغ الـ ٥ ملايين المطلوب تحويلها إلى البائع لإتمام عملية نقل الملكية، كما أن الفجوة الكبيرة بين سعر العقار والدخل المحدود للمواطن أدت إلى عدم إمكانية التفكير بالحصول على مسكن وكأنه أصبح حلما غير قابل للتحقق، وقد تكون الحلول المفروضة باستئجار عقار شكلت ضغطاً على سوق الإيجارات أيضا، وانعكس ذلك على ارتفاع قيم الإيجارات بشكل كبير.

في سياق حديثه عن القروض العقارية، أشار حنا أن المصرف يمنح قروضا للإنشاء أو للشراء، أو للشراء والإكساء، بسقف ٥٠ مليون ليرة لمدة ٥ سنوات، بنسبة فائدة ١٠,٥ - ١١٪ لمدة عشر سنوات، و١١,٥٪ لمدة ١٥ سنة، كما يمنح قروضا للإكمال بسقف ٢٠ مليون وبنسبة ١٠,٥٪ لمدة ٥ سنوات، و١١٪ لمدة عشر سنوات، أما بالنسبة لقروض الإكساء فلا تتجاوز الـ ٢٥ مليون لمدة ١٥ عاماً كحد أقصى، على أن يتم التقدم بدخل لا تتجاوز نسبة القسط فيه ٤٠٪.

وأضاف حنا أنه بإمكان المقترض التقدم بدخل مهن علمية (طبيب، صيدلاني) أو تجاري أو صناعي، إضافة للدخل المحدود لاستكمال القرض، كذلك بإمكان الجمعيات السكنية التقدم بطلبات القروض ضمن الشروط الخاصة بها.

روتين

جابر القاسم عضو مجلس محافظة حماه أكد أن روتين المعاملات من ضرائب وتعقيدات أثر بشكل سلبي على حركة، البيع كما أن مشاكل النقل التجاري، وارتفاع أسعار المواد الأولية، وهبوط قيمة العملة المحلية لعب الدور الأبرز في ارتفاع الأسعار.

إشكاليات

ثمة إشكاليات كبيرة أدت إلى انخفاض كبير بعدد المعاملات العقارية مؤخرا، منها انقطاع الكهرباء لمدة زمنية طويلة جدا، وعدم توفر مادة المازوت لتشغيل المولدات، وضعف شبكة الانترنت، فعوضاً عن تخفيف العبء عن المواطن، أدت هذه العوامل إلى التأخر الكبير بإنجاز هذه المعاملات، كما لفت عدد من المحامين إلى مشكلة الموافقات الأمنية في محافظة حماة إذ أن هذه الموافقات قد تتأخر لأكثر من شهر أو اثنين، بينما لا تتجاوز مدتها القانونية ثلاثة أشهر مما يضطر الكثيرين لطلب موافقات جديدة وذلك لانتهاء مدة صلاحية الموافقة القديمة، وعدم استكمال المعاملة في المدة المحددة.

أخيراً

من الواضح أن مدينة حماه تعاني ومنذ سنين ضغطا سكانيا كبيرا وهذا ما أدى إلى تفاقم أزمة السكن وارتفاع أسعار المنازل والمحال التجارية. ويبدو جليا أن الحل - برأي الكثير من الخبراء - يكمن بتضافر كافة الجهود الحكومية لإعادة إعمار الريف الذي دمرته العصابات الإرهابية المسلحة وإعادة تأهيل كافة المؤسسات الخدمية وتحسين الواقع الخدمي بشكل عام ما سيؤدي لاحقا لعودة الكثيرين إلى قراهم وبلداتهم، وينعكس بشكل إيجابي على المدينة كما أنه سيعيد للريف ألقه.

أقل ما يقال

أغلبكم جزءٌ مما نعانيه..!

«البعث الأسبوعية» ـ حسن النابلسي

سباق محموم من التصريحات تشهدها وسائل التواصل الاجتماعي هذه الأيام. أبطالها ممن يصنفون أنفسهم ضمن خانة رجال الأعمال، يؤكدون من خلالها أن ما يُشاع عن هجرة عدد كبير من الصناعيين والتجار وتحديداً إلى مصر، ما هو إلا حديث مبالغ فيه، ولا يخرج عن سياق التسييس الإعلامي المعتمد من قبل من يتأبط شراً بالاقتصاد الوطني. وليثبتوا - عبر تصريحاتهم هذه - مواقفهم الوطنية، وانتمائهم إلى بلد لا يجوز تركه في مثل هذه الظروف الاستثنائية.!

لهؤلاء نقول: إن أغلبكم كان مصدر ما اعتبرتموه «إشاعة مغرضة»، ولا نعتقد أن هناك من يشكو من تدهور الوضع الاقتصادي أكثر منكم. فأنتم أكثر شريحة لها مطالب، ليس في أوقات الأزمات فحسب، بل في أوقات الرخاء الاقتصادي أيضاً. ولقد كنا شهود عيان في العديد من الاجتماعات الرسمية التي ترأسها رئيس الوزراء أو الوزراء المعنيون، وكيف أن بعضكم طالب بفتح باب الاستيراد على مصراعيه دون أدنى مبالاة بمنعكسات مثل هذا المطلب على البنية الإنتاجية في بلد أحوج ما يكون حتى لمشروع متناهي الصغر، وذلك بما يتماشى مع مصالحه الضيقة لجهة تضخيم ثروته القائمة بالأساس على المشاريع الريعية وليست الإنتاجية. هذا أولاً.!

أما ثانياً أيها السادة. يا من أبديتم غيرتكم على الاقتصاد الوطني في لحظة ما. فأغلب الظن إن لم تكونوا أنتم وراء ما تم الترويج له من هجرة الصناعيين والتجار ورؤوس الأموال. فأنتم تستثمرون هذا الموقف — بغض النظر عن صحة هذه الإشاعة من عدمها - لتضعوا الحكومة والجهات المعنية على محك الاستجابة لمطالبكم والحصول على المزيد من الامتيازات، وذلك عبر توجيه رسائل غير مباشرة بأن الهجرة ستتحقق في حال عدم تلبية هذه المطالب.!

كان الأجدر بكم إن كنتم صادقين بالولاء والانتماء، وبما أبديتموه من غِيرة على الاقتصاد الوطني، القيام بمبادرة حُسن نية لجهة توجيه بوصلة أموالكم إلى المشاريع الإنتاجية، أو على الأقل الكف عن المضاربة بسعر الصرف في السوق السوداء، وقد سبق للمصرف المركزي أن أشار بالبنان إلى أنكم لا تنامون قبل أن تحولوا «ليراتكم إلى دولار».!

نجزم أن الظروف الضاغطة لم تؤثر على مستوى معيشتكم ورفاهيتكم. بل كنتم جزءاً منها نظراً لاعتمادكم مبدأ أن التجارة «ربح وربح»، وليس «ربح وخسارة»، وما شعاراتكم التي سقتموها عبر تصريحاتكم المنمقة والمتمحورة بالدرجة الأولى حول «دعوتكم لتحمل هذه الظروف والتي لا تعدو أن تكون سحابة صيف عابرة»، إلا مردودة عليكم، فأنتم لا تفوتون أية فرصة إلا وتتحدثون في هذا الشأن بما يخدم مصالحكم.!

بالتأكيد هناك رجال أعمال بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ممن يقرنون القول بالفعل، ولكن للأسف باتوا ندرة. وما ذكرناه آنفاً لا ينسحب عليهم، وإنما على من يستغل كل مناسبة لإبعاد الشبهات عن مسلكه. قبل ثروته.!

hasanla@yahoo.com

على وقع استمرار أزمة المياه في دمشق وريفها.. «الكهرباء» و «المياه» تجترحان الحلول

"البعث الأسبوعية"
- نور قاسم

رغم وعود كل من وزارتي "الكهرباء" و"الموارد المائية" لجهة اجتراح حلول مناسبة، إلا أن أزمة المياه الخانقة في محافظتي دمشق وريفها لم تلق سبيلاً للحل بشكل تام، فالحال لم يتبدل كثيراً عما كان عليه، وقد رصدت "البعث الأسبوعية" من خلال آراء عدد من المواطنين أن المشكلة لا تزال قائمة، إذ أكدوا أن معاناتهم كبيرة جداً نتيجة انقطاع المياه عند وصل الكهرباء، والعكس بالعكس، وتبين أن المناطق المتضررة في دمشق بسبب انقطاع المياه هي أحياء خالد ابن الوليد، والدحاديل، والميدان، والبرامكة "شارع كلية الهندسات"، في حين أن مناطق مثل صحنايا، وجديدة عرطوز، وحفير الفوقا، والحسينية، وقدسيا، والماجدية، وسعسع، والسبينة، في ريف دمشق تشهد أزمة مياه خانقة.



مشاريع منجزة

المدير العام لمؤسسة مياه الشرب والصرف الصحي في محافظتي دمشق وريفها، سامر الهاشمي، أكد أنه خلال الأشهر الفائتة أُنجزت مشاريع عدة لمخارج مياه معفاة من التقنين بكل من الغزلانية، ومشروع سكة المركزي الذي يغذي قرى البيطارية، والهيجانة، وتل مسكن، بالإضافة إلى آبار تغذي معربا، ومركز العقدة الخامسة الذي يغذي مدينة جرمانا، والخزان الثاني الرئيسي بضاحية قدسيا، ومركز جمرايا الذي يغذي خزان جمرايا العالي، وقسم من قدسيا وجبل الورد والهامة.

تكاليف كبيرة

ولفت الهاشمي إلى أن العمل جارٍ على إدخال مراكز أخرى معفاة من التقنين الكهربائي، أي تزود مضخات المياه بالكهرباء دون المنشآت السكنية، لتخفيف الأحمال على وزارة الكهرباء ومعظمها في ريف دمشق ويمكن أن يدخل إلى الخدمة قريباً مركزا الريمة والسومرية، حيث يغذي مركز الريمة كلا من صحنايا، وجديدة عرطوز، وقطنا والبلدات المجاورة، الأمر الذي يرتب تكاليف يمكن أن تكون كبيرة على مؤسسة المياه، فبعض المراكز وصلت كلفتها إلى أكثر من ٢٠٠ مليون ليرة.

برامج خاصة

وأشار الهاشمي إلى أنه بالتعاون مع مديرية كهرباء دمشق تم التوصل إلى برامج خاصة للمحطات التي تغذي المناطق المرتفعة بمدينة دمشق مثل مركز الوادي الاستراتيجي في المهاجرين إذ زوِّد بـ ١٦ ساعة كهرباء، ومركز المزة ورود الذي يغذي مزة ٨٦ وأحيائها، والفيلات الغربية الذي يحظى بإعفاء ليلي من الساعة ١٢ مساءً إلى الثامنة صباحاً، مؤكداً أنه في حال ظهور أية مشاكل في إحدى المضخات بدمشق تُزود بعض مراكز الضخ ببضع ساعات من الكهرباء، منوهاً بقلة ورود الشكايات إلى مؤسسة المياه من أهالي مدينة دمشق.!

وبالنسبة لحي خالد ابن الوليد بدمشق، وعدم التوازن بين الكهرباء والمياه، بيّن الهاشمي وجود بعض الصعوبات لإيجاد تنسيق في عدد من الأحياء داخل المدينة وأقل فترة تزويد مياه حوالي سبعة ساعات وبالتالي لا بد أن تتوفر الكهرباء خلال هذه المدة.!

أما في ريف دمشق، فبيّن الهاشمي أنه يوجد فيها آبار موزعة ضمن الأبنية السكنية مثل بلدات ببيلا، بيت سحم، يلدا، سيدي قداد، التواني، رنكوس، صيدنايا ودف الشوك ولا يوجد فيها مشروع إعفاء من التقنين لذلك يتم اللجوء للتنسيق لساعات تزويد كهرباء إضافية في حال كانت الإمكانيات متاحة لدى مديرية كهرباء ريف دمشق.

لا إمكانيات

من جانبه مدير الشركة العامة لكهرباء ريف دمشق إياد الخوري بيّن أنه لا إمكانيات للتغذية الإضافية بشكل يومي، فريف دمشق أصعب من مدينة دمشق نظراً لمساحته الجغرافية الواسعة وحمولاته الكبيرة جداً، لذلك في بعض الأحيان لا قدرة لإعفاء بعض المضخات من التقنين، لافتاً إلى أن التنسيق مع مؤسسة المياه ناجح بنسبة ٩٠٪ ضمن الإمكانيات المتاحة، أي عندما تكون المنظومة الكهربائية والتوليد مستقران، وضغط الغاز جيد، حينها يمكن المساهمة بتزويد مضخات المياه بساعات كهرباء إضافية.

وبيّن الخوري أنه يوجد مشروع لخط معفى من التقنين في خيارة الدنون بالكسوة عبارة عن مضخة مياه لخط مباشر إلى المنطقة ليزود بالكهرباء ٢٤ ساعة، ومن المتوقع إنجازه خلال الأسبوع القادم، بالإضافة إلى مشروع محطة الريمة البالغ طوله حوالي ٨ كيلو متر وسيغذي كل من قطنا، عرطوز، الدروشا، صحنايا، الأشرفية والبلدات المجاورة.

وأشار الخوري إلى وجود احتمال كبير لتحسن الكهرباء في ريف دمشق وتالياً تحسن المياه معها في بداية العام المقبل، إذ سيتم إنجاز صيانة عدد من المحطات من المخطط خلال كانون الأول وستدخل إلى الخدمة في كل من محطتي اللاذقية وحلب ليعود بالنفع على ريف دمشق أيضاً، بالإضافة إلى إمكانية توفر مادة الغاز وبالتالي تحسن التوليد.

لا علم لديهم

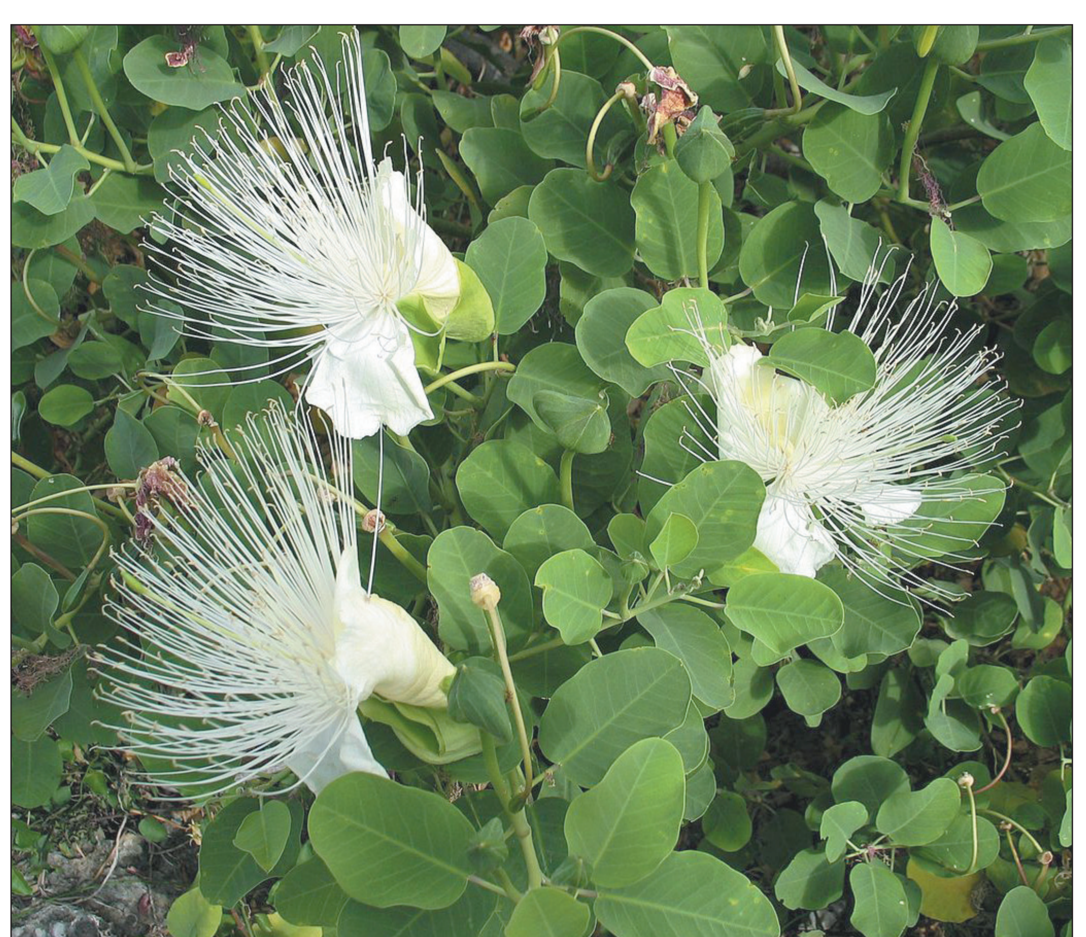
بدوره، مدير الشركة العامة لكهرباء دمشق، هيثم الميلع، لفت إلى التنسيق مع مؤسسة المياه بشكل يومي، وفي حال وجود أية مشكلة بالمياه يمكن تزويد المنطقة المتضررة لوقت محدد إضافي حسب الإمكانيات المتاحة، مبيناً أنه ليس لديهم علم بالساعات المتاحة من المياه لكِل منطقة بدمشق؛ ففي حال تغذية المياه لمدة ست ساعات ستتوفر الكهرباء لساعتين وسيتمكن الناس من الاستفادة من ضخ المياه، وهناك مشاريع مخارج خطوط مياه معفاة من التقنين يمكن أن تحل أزمة المياه لعدد من المناطق، وخلال فترة قصيرة يمكن إنجاز خط السومرية، مضيفاً أنه طُرحت أيضاً من قِبل مؤسسة المياه اقتراحات لخطوط معفاة من التقنين في كل من آبار اليرموك، إضافة إلى مخرج خاص بالزاهرة معفى من التقنين، مشيراً إلى أن تكلفة هذه المشاريع جداً تتجاوز الـ٦٠٠ مليون ليرة.

تواصل دائم

من جانبه، عضو المكتب التنفيذي في محافظة دمشق، سمير الجزائرلي، بيّن وجود مشكلة في بعض المناطق نتيجة عدم الانتظام ما بين مؤسستي الكهرباء والمياه لجهة تغذية محطات الضخ، مشيراً إلى التواصل الدائم مع مدير كهرباء دمشق لتغذية بعض المحطات بالكهرباء لبعض الوقت، وإلى التنسيق مع مؤسستي المياه والكهرباء لإعفاء بعض المخارج من التقنين، فمثلاً في الزاهرة وشارع الـ ٣٠ هناك ١٣ بئر ماء تغذي المنطقة الجنوبية بشكل كامل، منوهاً بأن مؤسسة المياه طلبت من وزارة الكهرباء تقسيط التكاليف، وقد تم إرسال كتاب من المحافظة بهذا الخصوص إلى وزير الكهرباء، ولم يرد أي رد للموافقة على التقسيط لهذين المخرجين لإعفائهما من التقنين علماً أنهما سيساهمان بحل أزمة لكثير من المناطق.

القبّار ذهب أخضر لم نحسن استثماره بعد.. و «الزراعة» لا تزال تصنفه حراجياً

"البعث الأسبوعية"
- بسام مصطفى



رغم كل عوائده الاقتصادية، لا يزال نبات القبار يصنّف نباتاً حراجياً لدى وزارة الزراعة، علماً أن المركز الوطني للسياسات الزراعية التابع للوزارة كان قد أنجز دراسة عدّته بمثابة أنموذج للموارد الاقتصادية المهدورة في قطاع النباتات البرية، وأكدت إمكانية مضاعفة إنتاج سورية منه سنوياً عدة مرات لتصبح المنتج الأول عالمياً، وبلا منازع، من خلال زراعته في حقول خاصة، وتحويله من نبات حراجي بري، إلى نبات حقلي، كما تفعل بعض الدول مثل إسبانيا وإيطاليا، مع الإشارة هنا إلى أن منطقة المخرم الفوقاني، في محافظة حمص، تنتج لوحدها حوالي ٦٠٠٠ طن قبار سنوياً. كما تمت دراسة مقترح آخر لمشروع تسويق وتصنيع القبار عن طريق القطاع العام، في منطقة المخرم، وذلك اعتماداً على الأبحاث التي أجراها كل من المهندس محمود ببيلي رئيس قسم التجارة في المركز الوطني للسياسات الزراعية، والدكتور سامر الطعمة عضو هيئة فنية في قسم الاقتصاد الزراعي في كلية الزراعة بجامعة البعث، إلا أن هذا النبات الذي يحمل لقب "ذهب سورية الأخضر"، أو كنزها النباتي الثمين، لا يزال ينتظر من يزيل الغبار عنه، ويبرز مكانته اللائقة كأحد أهم المحاصيل الاقتصادية في سورية.

نائب رئيس الرابطة الفلاحية في المخرم الفوقاني، عطاف محمد الحسن، أوضح في تصريح لـ "البعث الأسبوعية" أن نبات القبّار ينمو طبيعياً وبكثرة في المخرم؛ وبعد أن كان نباتاً ضاراً يقلق المزارعين في بساتين اللوز والكرمة، بات مطلب الجميع لعوائده الاقتصادية الجمّة على العاملين في جمعه وتسويقه وتصنيعه. ونوه الحسن بأن موسم قطاف القبار يبدأ اعتباراً من أواخر شهر نيسان وبداية أيار، وبمدة لا تتجاوز ٩٠ يوماً، مبيناً أن تجارة القبار بدأت عام ١٩٩٦، عندما أخذ بعض التجار يجوبون المنطقة، ويطلبون من الأهالي قطاف جزء القبار التجاري، والذي هو عبارة عن البراعم الزهرية - بحجم حبة الحمص - ويتم حفظها في الخل أو بالماء والملح.

ولفت الحسن إلى أن تسويق القبار يتم عن طريق سلسلة تسويقية من تجار القطاع الخاص، تبدأ من المواطن الذي يقطف القبار ويبيعه إلى المراكز الفرعية الصغيرة، لتصل إلى التاجر الرئيسي (المصدّر) على مستوى سورية؛ وهنا يكون المواطن هو الحلقة الأضعف في السلسلة التسويقية إذ يبيع النبات بأبخس الأثمان متحملاً حرارة الشمس الحارقة وعناء الوخز بالأشواك خلال يوم عمل طويل وشاق، وبمردود يبلغ ٤ كغ وسطياً، مشيراً إلى أن أفضل سعر للقبار الناعم حتى تاريخه يبلغ ٢٠٠٠ ل.س للكغ، و٣٥٠ ل.س للقبار الخشن، وهو سعر قليل مقارنة بما يحصل عليه التاجر. بالإضافة لذلك، هناك الفرق الكبير بين السعر المحلي لبراعم القبار المقدر بـ ٢٠٠٠ ليرة، وسعره العالمي المقدر ما بين ١٠ / ٢٠ دولاراً للكغ للبراعم الخضراء، وحوالى ٢٥ / ٤٠ دولاراً للكغ للبراعم المخللة.

وأوضح الحسن أنه في حال تسويق القبار عن طريق القطاع العام يمكن إعادة هذا الفارق السعري لصالح إنعاش حياة المواطنين في منطقة المخرم، وغيرها من أماكن زراعة نبات القبار، ممن يعتمدون على زراعة الزيتون واللوز اللذين لم يعودا يدران ربحاً على المزارعين في السنوات الأخيرة، نتيجة الجفاف وزحف التصحر بسبب قلة الهطولات المطرية.

وذكر الحسن أن هناك العديد من الصناعات التي تعتمد على نبات القبار، وبالتالي الحصول على قيمة مضافة للإنتاج المحلي، منها مخلل البراعم، ومخلل الأجراس، والجذور المجففة، والبراعم المجففة والمطحونة كتوابل.

وبين الحسن أن من أهم التوصيات والمقترحات التي خلصت إليها الدراسات المعمولة على هذا النبات تبني وزارة الزراعة في سورية مشروع زراعة وتصنيع وتسويق القبار عن طريق القطاع العام، والإسراع بتنفيذ مشروع تجميع وفرز وتمليح وتخزين البراعم الخضراء في منطقة المخرم، فضلاً عن تأمين عدد كبير من سلال النايلون صغيرة الثقوب الخاصة بجمع البراعم، وتوزيعها على القاطفين، للمحافظة عليها بحالة جيدة، وتشكيل جمعيات فلاحية خاصة بالقاطفين لدعمهم وحماية حقوقهم وتنظيم عملهم، وتوفيرٍ مستلزمات القطف من قفازات ونظارات شمسية وأحذية ولباس، مجاناً، عن طريق الجمعيات الفلاحية.

في ذات السياق، أوضح رئيس جمعية تربية النحل في ريف دمشق، المهندس رضوان البدوي، أهمية نبات القبار للنحالين منتجي العسل، فهو مرعى كبير لطوائف النحل، ويسهم في تشغيل اليد العاملة، مدة أربعة أشهر، داعياً للتوسع بزراعته وتسويقه لتحسين دخل المواطنين العاملين في قطاف القبار، ومربي النحل.

يذكر أن تكلفة زراعة نبات القبار بسيطة فهو لا يحتاج إلى ري ولا أسمدة ولا مبيدات حشرية، وهو ذو إنتاجية عالية حيث تنتج الشجيرة الواحدة حوالي ٥ كغ سنوياً.

مشاريع الموازنة العامة هي المرآة الفعلية لنوايا الحكومة وخططها لأنها تكشف حجم وارداتها التقديرية وحجم الدعم المزمع تقديمه!!

"البعث الأسبوعية" ـ علي عبود

تعرض البيان الوزاري للحكومة الجديدة لانتقادات عنيفة وحادة سواء في مجلس الشعب أم من قبل بعض الأكاديميين والمنظرين. ويبدو أن المنتقدين كانوا ينتظرون من الحكومة أن تعلن في بيانها عن حزمة من الحلول الكفيلة بتسريع عجلة الاقتصاد الوطني، وتحسين الأوضاع المعيشية. والحق يُقال أن البيانات الوزارية، سواء عندنا أم في سائر الدول الأخرى، ليست أكثر من عناوين مختصرة لنوايا الحكومة أي ما تُخطط لفعله في القادم من السنوات، وبالتالي لا تجوز المحاسبة على النوايا، فالإصلاح لا يتحقق بالنيات. ولا فائدة على الإطلاق من تضمين البيانات الوزارية الخطط والبرامج التفصيلية التي ستحتل الأولويات، خلال سنة أو أكثر، فالمهم هو الخطط الخمسية والعشرية التي تضعها الحكومة، وبالتالي نسأل: هل لدى الحكومة النية للطلب من هيئة التخطيط إعداد مثل هذه الخطط الاقتصادية والإجتماعية التي يُفترض أن يكون محورها الاقتصاد الإنتاجي الذي يحقق لنا الاكتفاء الذاتي مع فائض للتصدير ويُقلص حجم الاستيراد إلى الحد الأدنى، ويزيد مواردنا من القطع الأجنبي؟

وإذا كان الهدف من انتقاد البيان الوزاري أنه عام جدا، وفضفاض، فهذا طبيعي، فما من حكومة جديدة تعرف مسبقا ماذا ستفعل مستقبلا. وبالتالي، فإن مشاريع الموازنة العامة للدولة هي المرآة الفعلية لنوايا الحكومة أو خططها لأنها تكشف، وبالتفصيل الممل، حجم وارداتها التقديرية، وأين ستنفقها، وما حجم الدعم المزمع تقديمه للفئات الأشد فقرا!

ويمكن أن نأخذ تحسين دخل الأسرة السورية كمثال، فجميع الحكومات أكدت في بياناتها الوزارية، وفي موازنات الدولة العامة، وفي معظم اجتماعات مجلس الوزراء، أن شغلها الشاغل هو المواطن وتحسين أوضاعه المعيشية، فماذا كانت الحصيلة سوى اتساع الهوة بين الأجور والأسعار أسبوعا بعد أسبوع، أن لم يكن يوما بعد يوم؟

إن تجاربنا على مدى السنوات العشر الماضية تجعلنا نقول للناس: لا تنتظروا الفرج بتحسين أوضاعكم من البيانات والموازنات، ما دامت آليات تصحيح معادلة الأجور والأسعار غائبة، بل ومغيبة، عن جدول أولويات جميع الحكومات حتى الآن!

أكثر من ذلك، أن الجهات الحكومية والخاصة بدأت منذ فترة بتعديل حسابات كلف سلعها وخدماتها، ما يعني أننا سنشهد هبات جديدة من زيادات الأسعار دون أن تعلن الحكومة عن أي حلول تتيح ردم الفجوة بين الأجور والأسعار التي تزداد اتساعا أكثر فأكثر!!

نهج الاعتماد على الذّات

ولا نشك بأن الحكومة جادة بطرحها لنهج الاعتماد على الذات، ولكنها لا تزال تفتقر إلى الآليات الفعالة لترجمة أقوالها إلى أفعال، وإخفاقها حتى الآن بإنتاج ما يكفي سورية من الحبوب يؤكد أنها لا تزال بعيدة عن تبني آليات تدعم القطاع الزراعي لإنتاج سلع بمتناول دخل ملايين السوريين.

كما لا نشك بنوايا الحكومة بتقليص المستوردات وزيادة الصادرات، بدليل طرحها لبرنامج تصنيع بدائل المستوردات، لكنها لم تنجح بمسعاها بدليل أن المستوردات تزداد، ولم تتمكن من كبحها إلا بالمنع دون توفر البدائل.

وتعرف الحكومة أن تصنيع بدائل المستوردات يحتاج إلى محفزات وتسهيلات تتيح للصناعيين إنتاجها محليا من جهة، وتحفيز رجال المال لإقامة مشاريع جديدة تلبي احتياجات السوق مع فائض للتصدير من جهة ثانية. كما أن عملية تصنيع بدائل المستوردات تتطلب شراكات مع دول صديقة وحليفة تتيح إقامة مشاريع إقليمية تلبي حاجات الأسواق السورية والمجاورة. والأهم من كل ذلك أن الطريق الأسرع لتنفيذ برنامج تصنيع بدائل المستوردات يتطلب دعم قطاع المشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر التي تشكل أكثر من ٩٥٪ من إجمالي المشاريع في سورية.

وعلى الرغم من هذه الوقائع، فإن الحكومات على مدى الأعوام القليلة الماضية لم تضعها في خطة خمسية لتنفذها من خلال موازناتها العامة، وفق برامج مادية وزمنية، أي وفق خطط مشابهة، أو أفضل، للخطط التي حققت لنا الاكتفاء الذاتي وفائض التصدير وأوضاع معيشية جيدة لملايين الأسر.

وبما أن بيان الحكومة تحدث عن "تحديد الاستراتيجيات العامة التي ستسير عليها الحكومة لتنفيذ مهامها ومسؤولياتها في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخدمية، وبروح وطنية مسؤولة، تقوم على برامج تنفيذية محدّدة بإطار زمنيّ وإجراءات فعليّة لمدة ثلاث سنوات، ومؤشّرات تقيس حجم الإنجاز والعمل في جميع القطاعات"، فهل ستضع الحكومة خطة ثلثية لا خمسية، أم ستكتفي ببرامج قصيرة الأمد غير مضمونة النتائج كما كان حالها مع عام القمح؟

تلبية احتياجات المواطنين

وما من بيان وزاري لجميع الحكومات بما فيها الحالية خلا من عبارة "تلبية احتياجات المواطنين" دون أن تترجم الحكومات لاحقا، سواء في خططها السنوية أو اجتماعاتها الأسبوعية، آليات فعالة لترجمة هذه العبارة إلى فعل ملموس!

وفي بيان الحكومة الأخير، نقرأ التالي: "يُعد تحسين مستوى معيشة المواطنين الهاجس الأهم للعمل الحكومي، والهدف الرئيس للسياسة الاقتصادية للحكومة. وستستمر الحكومة باتخاذ كل الإجراءات التي من شأنها تحقيق هذا الهدف سواء من خلال الزيادات المدروسة للرواتب والأجور أو متمماتها، ومن خلال تخفيض تكاليف المعيشة، وتعزيز القوة الشرائية للعملة الوطنية، وضبط الأسواق والأسعار، وعقلنة الدعم وإيصاله إلى مستحقيه، بما يضمن تأمين أفضل شروط ممكنة للعدالة الاجتماعية"!

والسؤال: هل ستتبنى الحكومة آليات لتنفيذ ما جاء في بيانها؟ أم هو مجرد كلام بكلام؟

إذا كان تحسين مستوى معيشة المواطنين هو فعلا الهاجس الأهم للعمل الحكومي فلماذا لا تقوى غالبية الأسر السورية على شراء احتياجاتها الأساسية من اللحوم والفروج والبيض والأجبان والألبان. إلا بأقل من الحدود الدنيا؟

وتعرف الحكومات السابقة والحكومة الحالية أن أي زيادة للرواتب والأجور تشفطها زيادات الأسعار اللاحقة خلال أقل من أسبوع، وهذا يعني أن الزيادات ليست سوى لسد جزء يسير من عجوزات القدرة الشرائية، وبالتالي فالمطلوب إما تعديل الأجور وفق سعر الصرف أو آلية أخرى تؤمن احتياجات الأسرة وفق دخلها!

والملفت جدا، ودائما، تكرار الحكومة لعبارة "تخفيض تكاليف المعيشة"، فنحن لا نعرف حتى الآن كيف يمكن للحكومة أن تكون جادة بتخفيض تكاليف المعيشة وهي مستمرة بفرض الضرائب المباشرة وسباقة برفع أسعار منتجاتها وخدماتها قبل القطاع الخاص!

أما حديث البيان عن تعزيز القدرة الشرائية للعملة الوطنية فهو أكثر من محير، بل هو غامض، فلو نجحت الحكومات السابقة بتحسين سعر الصرف ولجمت تراجعه أمام القطع الأجنبي لما ارتفعت الأسعار ولتحسنت فعلا الأوضاع المعيشية، ولكن ما يحدث فعليا هو ارتفاع رسمي مستمر لسعر الصرف يستتبعه ارتفاع لأسعار السلع المنتجة في القطاعين العام والخاص ينعكس فورا عجزا في شراء الاحتياجات الأساسية



أين دعم الإنتاج المحلي؟

وتتنافس الحكومات المتعاقبة برفع شعار "دعم الإنتاج المحلي"، ونقول أنه شعار وليس نهجا، لأننا لم نجد ترجمة له حتى الآن. ولا ننكر هنا وجود الدعم، ولكنه استنسابي، فلا الصناعيون ولا المواطنون يلمسون وجوده أو نتائجه، وهذا يعني أنه غير كاف، ربما لأنه يأتي كردات فعل، وإلا للمسنا ثماره في عام القمح، وفي برنامج تصنيع بدائل المستوردات، أو في المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر!

وطالما لا تستطيع الأسرة شراء احتياجاتها من السلع الغذائية الأساسية، فهذا الدعم بنظرها غير موجود، بل هي تسأل: ما هذا الدعم الذي حرمنا حتى من الأكلات التي كانت دائما شعبية، كالفروج والفول ومشتقات الحليب والألبان؟

وبما أن البيان ذكر أن الحكومة "تواصل العمل على دعم الإنتاج المحلي وتنميته، باعتباره أحد أهم محركات النمو الاقتصادي، بدءاً من المشاريع المتناهية الصغر مروراً بالصغيرة والمتوسطة وصولاً إلى المشاريع والاستثمارات الكبيرة، سعياً نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي وزيادة الإنتاج، والمستثمرين، لتأمين الاحتياجات الأساسية للمواطنين، وتنمية الصادرات"، فلماذا يشكو الصناعيون الإهمال وغياب المحفزات إلى حد يستعد بعضهم للهجرة؟

والحديث عن برنامج تنمية الإنتاج المحلي، وتنويع القاعدة الإنتاجية، والذي يتضمن مجموعة من الإجراءات أهمها استمرار العمل بسياسة الحماية المدروسة للإنتاج المحلي، وتوجيه سياسة التجارة الخارجية نحو تخفيض تكاليف التشغيل والتوسّع بالإنتاج، وتأمين متطلبات القطاعين الصناعي والزراعي، لم يتم ترجمته بقرارات وآليات فعالة حتى الآن، باستثناء ردات الفعل على نشوب ازمة ما كأزمة غلاء الفروج والبيض، فعندها فقط يتم تقديم دعم جزئي دون أن يعالج الأزمة جذريا.

ولا ندري كيف يمكن زيادة مساهمة القطاع العام الصناعي في الناتج المحلي الإجمالي دون عمليات إصلاح إدارية واقتصادية ومالية تشكلت من أجلها عشرات اللجان دون أن يبصر مقترح واحد منها النور على مدى ثلاثة عقود من الزمن!

الأولوية ليست للزراعة!

ومثل البيانات الوزارية السابقة، فإن البيان الأخير شدد على التالي: "تعمل الحكومة على تطوير القطاع الزراعي وتحقيق الأمن الغذائي من خلال الارتقاء بأداء سلاسل القيمة للمنتجات الزراعية، وتحقيق التكامل بين القطاع الزراعي وباقي القطاعات في تأمين مستلزمات الإنتاج الزراعي وتسويق المنتجات الزراعية، وتعزيز جهود التنمية المتكاملة، مع الاستمرار في تقديم الخدمات المساعدة وتطوير أساليب الدعم للقطاع الزراعي في حدود الإمكانات المتاحة، بما يضمن رفع معدلات نموه واستقراره وتحقيق أهداف التنمية المستدامة".

لفتتنا عبارة "تطوير أساليب الدعم في حدود الإمكانات المتاحة"، ما يعني أن أي تقصير أو فشل بتحقيق الأمن الغذائي سيكون سببه عدم توفر الإمكانات، وبالتالي فاستمرار استيراد القمح والشعير والذرة الصفراء وحتى بذار البطاطا، وارتفاع أسعار اللحوم والفروج والألبان والأجبان والبقوليات بما يفوق قدرة الأسر، هو بسبب أن الدعم كان في حدود الإمكانيات وليس حسب المطلوب، أي بما يتيح للأسر السورية أن تشتري السلع الغذائية بأسعار تناسب دخلها!!

وفي هذا السياق، ماذا تقصد الحكومة بقولها ببيانها "نعمل على متابعة وصول أساسيات غذاء المواطن واحتياجاته التموينية بطريقة لائقة وبأفضل جودة وبأنسب الأسعار"؟ هي تعترف بأنها "تعمل" دون أن تجزم بأنها ستحقق هدفها خلال عام أو عشرة أعوام!!

المسألة لا تتعلق ببرنامج "إعادة هيكلة الدعم الذي يهدف إلى إيصال الدعم لمستحقيه وفق معايير توضع لهذا الغرض وتغيير طريقة الدعم بهدف عدم الهدر ومنع السرقة ومنع بيع المواد المدعومة"، فهذه معزوفة نسمعها منذ حكومة ٢٠٠٣ / ٢٠١٠، وحتى الآن؛ وبما أن النتائج كانت كارثية على الأسر فهذا يعني أن الآلية خطأ بخطأ!

وبرأينا، فالمشكلة لم تكن يوما بوصول الدعم إلى غير مستحقيه، بل في أن الحكومات المتعاقبة صححت كل شيء له علاقة بالتكاليف والأسعار والأرباح باستثناء الأجور، وبالتالي الواقع يقول: على الأسرة السورية أن تكيّف دخلها الثابت مع الأسعار التي ستتعدل صعودا مع كل تعديل في سعر الصرف!!

هبة أسعار جديدة

وقبل أن يجف حبر البيان الوزاري، وقبل أن تنجز الحكومة مشروع موازنة ٢٠٢٢ التي يُفترض انها ستترجم من خلال لحظ الاعتمادات التي من شأنها زيادة الإنتاج وتعزيز برامج تحقيق الأمن الغذائي وتحسين القدرة الشرائية للمواطن من خلال تحسين سعر الصرف، اندلعت هبة جديدة للأسعار كانت بدايتها من القطاع العام لا الخاص!

نعم. خلال الأيام الماضية رفعت العديد من الشركات العامة أسعار منتجاتها بذريعة ارتفاع التكاليف، ولأن توجيه الحكومة: لا تُباع اي سلعة بأقل من تكلفتها!

وبما أن سعر الصرف ثابت منذ عدة أشهر، فإن القطاع الخاص وجد ذريعة أخرى لرفع أسعاره زاعما أن أجور الشحن والنقل ارتفعت مؤخرا بنسب عالية جدا، وبالتالي سترتفع تكاليف المستوردات، والتي أغلبها سلع غذائية، أي سيتحمل ارتفاعها المستهلك لا المستورد!

وإذا كان سعر ليتر زيت القطن المنتج في القطاع العام ارتفع إلى ٥٥٠٠ ليرة، فهذا يعني أن الزيت النباتي المنتج من القطاع الخاص، سواء عباد الشمس أو الذرة، سيرتفع حتما إلى مستويات أعلى؟

وهذا يعني أن الأسرة التي تستهلك ليترا واحدا فقط بالأسبوع من الزيت النباتي الذي أصبح بديلا لزيت الزيتون ستنفق ما لا يقل عن ٢٢ ألف ليرة شهريا على زيت القطن فقط!

طبعا من وافق على زيادات الأسعار لم يقرنها بموافقة على زيادة دخل الأسرة بما يتناسب مع زيادة الأسعار الجديدة في القطاعين العام والخاص!

وبعدها بأيام، أكد مجلس الوزراء في جلسته الأسبوعية، "أهمية التوسع بتجربة الأسواق الشعبية واستجرار المنتجات الزراعية والغذائية من المنتجين وبيعها للمستهلك مباشرة بأسعار مقبولة"!!

ترى ما هذه الأسعار المقبولة التي ارتفعت بعد أيام من إلقاء البيان الوزاري في مجلس الشعب؟

وعندما ترفع مؤسسة الاتصالات أسعار خدمات الهاتف الثابت والخلوي بنسب تتراوح من٤٠٪ إلى ١٠٠٪، دون أي تعديل بالأجور، فكيف سيتحمل محدودو الدخل هذه الزيادات، وعلى حساب أي سلع أساسية أخرى؟

خيارات تحسين أوضاع الأسرة

وبما أن جميع البيانات الوزارية للحكومات السابقة أكدت أن شغلها الشاغل تحسين الأوضاع المعيشية، وبما أن الموازنات العامة للدولة ترصد عشرات المليارات للدعم الاقتصادي والاجتماعي، فالسؤال: لماذا تتراجع القدرة الشرائية شهرا بعد شهر على الرغم من الزيادات التي طرأت على الرواتب والأجور في السنوات العشر الأخيرة؟

وبسؤال أكثر دقة: لماذا لا تأتي البيانات والموازنات بالفرج "المعيشي"؟

تعرف الحكومة جيدا أن أي زيادة للرواتب لا تسد لحظة صدورها أكثر من ١٠٪ من الفجوة بين الأسعار والأجور، وسرعان ما تتبدد هذه النسبة، بل وتخسر الأسرة نسبا أعلى من قدرتها الشرائية، كما حصل في الأسابيع الأخيرة بعد رفع القطاعين العام والخاص للسلع والخدمات التي تدخل في أساسيات الحياة اليومية!

وتعرف الحكومة إنها في كل مرة ترفع أسعار السلع التي ينتجها القطاع العام وتوافق على رفع أسعار منتجات وسلع القطاع الخاص، وهو ما يحصل شهريا، فإن القدرة الشرائية تتقلص أكثر فأكثر!

والسؤال الذي نكرره دائما:

ما خيارات الحكومة لتحسين الأوضاع المعيشية للأسرة السورية؟

لا يوجد سوى ثلاث خيارات جذرية:

الأول: تخفيض سعر الصرف وتثبيته عند مستوى يؤدي إلى خفض أسعار السلع والخدمات ما يتيح تحسين القدرة الشرائية.

الثاني: بما أن الخيار الأول مستحيل حاليا، فعلى الحكومة أن تقوم بتعديل أجور عام ٢٠١٠ وفق آخر تعديل لسعر الصرف.

الخيار الثالث: في حال لم تستسغ الحكومة تعديل الأجور وفق سعر الصرف، وأصرت على أن تكون مستثناة من أي تعديل، لا يبقى سوى خيار تقديم سلة غذائية شهرية مدعومة تتضمن جميع الاحتياجات الأساسية للأسرة السورية، وبسعر لايتجاوز ٢٥٪ من الحد الأدنى للأجور، أو صرف ما يوازي قيمتها في السوق عبر البطاقة الذكية؛ وهذه النسبة معقولة جدا لأن ما يتبقى من نسبة الدخل، أي ٧٥٪، بالكاد يكفي المسكن والملبس والنقل واليسير من ترف كماليات الحياة التي كانت متاحة في السنوات السابقة!

إلى متى ستعيش رياضتنا على الأوهام؟

التخبط يسيطر على الأجواء والحلـول غائبـة!!

"البعث الأسبوعية" ـ ناصر النجار

جاء تأجيل الدوري الكروي الممتاز بسبب جائحة كورونا (كما أعلن اتحاد كرة القدم) بمنزلة طوق نجاة للأندية المتعثرة التي يتزايد عددها أسبوعاً بعد أسبوع، لأسباب عديدة منها مالية وأغلبها إدارية، وانضم نادي الكرامة هذا الأسبوع إلى قائمة الأندية المتعثرة بعد استقالة رئيس النادي وعضوين من أعضاء مجلس الإدارة.

هذا التوقف جاء مبشراً للأندية التي تعيش دوامة كبيرة من مشاكل مختلفة، وهو نعمة للعديد من المدربين الذي صاروا على أبواب الإقالة أو الاستقالة والحقيقة أن التوقيف جاء بوقته بعيداً عن مبررات التوقيف، وإن كان كورونا حقيقة بالوقت نفسه، ويجب التعامل مع هذا الوباء بمنتهى الجدية، ويمكننا التعليق على ما حدث أنه جاء برمية من غير رام.

وحسناً إن كان هذا التوقف سيساهم بحل بعض المشاكل على الصعيد الإداري أو الفني لتصل الفرق إلى الجاهزية المطلوبة، ولتدارك كل تقصير حصل في المراحل السابقة من الدوري.

وفي الحديث عن القضايا المتعثرة، فما زالت مشكلة نادي عفرين قائمة على ما هي عليه، كذلك فشلت انتخابات إدارة نادي الحرية التي كان مقرراً موعدها نهاية الأسبوع الماضي وانتهت إلى التعيين، لتنهي قضية الصراع على النادي بين شلله المختلفة التي تهتم بتقويض العمل أكثر من اهتمامها بالنادي نفسه؛ أما نادي الوحدة، فيبدو أن مشكلته مستعصية على الحل، لذلك لم نسمع أي أخبار حول القرار الذي سيتخذ بشأن الإدارة التي يقودها رئيس النادي ومعه عضوان وبعض التابعين. والأمور ما زالت مميعة وعائمة.

واتسعت دائرة المشاكل في الأجواء الرياضية، وباتت أكثر من أن تحصى، وصار من الصعب ردم الهوة فيها أو حلها، والسبب أن الرياضة الاحترافية يقودها هواة، أو لنقل إن رياضتنا تطوعية، والتطوع لا يمكنه أن يلبي طموح البطولة والتطور.

والمشكلة الحقيقية أن القائمين على الرياضة لم يستوعبوا حتى الآن معنى التطور والآليات التي يجب أن تتبع لتحقيق التطور، ولم يستوعبوا أن الإدارات التطوعية - سواء بالأندية أو الاتحادات أو اللجان العليا أو الصغرى - ليست حلاً، ولا يمكنها أن تطور العمل الرياضي، ونتساءل: كيف لعضو مجلس إدارة ناد ما يعمل بالمجان، ولديه لاعبون يقبضون بمئات الملايين؟ أليست هذه مفارقة عجيبة؟

التطور الرياضي بحاجة إلى محترفين وخبراء أكاديميين في كل المراكز الإدارية والتنظيمية والقانونية والمالية والإعلانية والتسويقية؛ ولأن القائمين على العمل ليسوا اختصاصيين فإننا نرى هذا الفشل بالقيادة والعمل بشكل عام.

والغريب أن رئيس النادي في كل ناد هو المهيمن على القرار، ولو كان من غير اختصاصه سواء كان مالياً أو قانونياً أو تسويقياً، لذلك تنامت أخطاء الأندية في كل الاتجاهات، وغرقت في مشاكل لم تكن لتحدث لو أن القرار بيد أصحاب الاختصاص.

المطلوب اليوم، عاجلاً وليس آجلاً، إجراء نقلة نوعية بالقوانين الرياضية لتحاكي التطور الرياضي المفترض ليس في دول العالم البعيد، إنما في دول الجوار؛ ونحن - للأسف - نعيش دوامة من العشوائية والارتجال دون أي تخطيط أو فكر مثقف يعمل من أجل النهوض بالرياضة، فما زلنا نتكل على طفرة، من هنا ومن هناك، لنقول إن لدينا رياضة، وليقول البعض إن رياضتنا بخير.

هروب الداعمين

مفاجآت الأسبوع الماضي كانت كثيرة على محور الدعم المالي، فأحد أبرز داعمي نادي الوحدة - الذي وعد بدفع مليار ليرة للنادي - انسحب من وعده ودعمه مدعياً أن وضع النادي غير سليم وهناك خلافات واختلافات ومشاكل. تبعه أحد داعمي نادي عفرين، ففعل الشيء نفسه ولو كان دعمه أقل بكثير من داعم الوحدة؛ والمفاجأة كانت باستقالة رئيس نادي الكرامة وعضوين من الإدارة هم من الداعمين الرئيسيين، ومبرر الاستقالة وجود هؤلاء الأعضاء بدمشق وعدم تفرغهم للنادي، مع العلم أنهم موجودون في دمشق منذ توليهم أمور النادي. فماذا حدث؟

الموضوع بحاجة إلى تفسيرات منطقية، فهروب الداعمين من الرياضة يعتبر مؤشرا خطيرا؛ وفي طليعة الأسباب التي تؤدي إلى ذلك طريقة التعامل مع هؤلاء، والفكر الذي على أساسه تنتهج الرياضة طريقها.

في مثال نادي الوحدة، نجد أن التخبط في النادي هو سبب مباشر في هروب الداعم، ومن يقول إن المستثمر كان ينوي استثمار شيء في النادي ولم يصل إليه، فإنه أمر طبيعي لأن الداعم لا يدفع دون فائدة، وهذا أمر متعارف عليه، وهذا ليس عيباً أو خطأً ما دامت الفائدة ضمن القوانين والأنظمة، فمن حق أي داعم أن ينال استثماراً - وفق ما ذكرنا - ليعوض الهبات التي يدفعها للنادي!!

وفي عفرين، التخبط الإداري وسوء النتائج والملاحظات على عمل الإدارة جعل الداعم ينسحب، وهنا نتأكد أن سوء الإدارة، وعدم التعامل مع كل المسائل المالية والفنية والإدارية والتنظيمية والاستثمارية بخبرة وكفاءة، يصلان بالنادي إلى مثل هذه المواقف التي يخسر بسببها داعميه وكل محبيه.

أما ما يخص الكرامة، فإن الأسباب الحقيقية لاستقالة رئيس النادي وعضوين من الإدارة ما زالت مجهولة، وإن تم التنويه عنها قبل حوالي عشرين يوماً، ثم نامت القضية، وتبعها اعتذار عن البطولة العربية بكرة السلة وغيرها من الأمور، لتدلل على أن الأمور في نادي الكرامة يشوبها شيء ما. لكنه طي الكتمان.

حل غائب

بغض النظر عن صحة هذه التحليلات وصوابها، نجد أن الرياضة بكل مؤسساتها لا يجب أن تعتمد في وجودها على الداعمين والمحبين، فقد يكونون جزءاً من مشروع رياضي لكن لا يجب أن يكونوا كل المشروع، فأنديتنا يجب أن تقوم على أسس ثابتة من الموارد المالية ومن الكفاءات والخبرات، وهم الأساس في المشروع الرياضي، ومن الممكن أن يكون للداعم نصيب منها، بحيث إذا انسحب فجأة لا يتأثر المشروع الرياضي بانسحابه؛ والمثال الحي، ما حدث بناديي حطين أولاً، وجبلة بعده، فلو كان هناك موارد جيدة للناديين ما كانا ليتأثرا بغياب الدعم. وننظر بقلق إلى بعض الأندية الفارغة من أي مورد ثابت، كالفتوة واليقظة، فعندما يرفع الداعمون أيديهم عن الناديين فلنا أن نتصور حجم الكارثة التي ستلحق بهما.

فما الحل؟ وهل ستبقى منظمة الاتحاد الرياضي العام تقف موقف المتفرج من هذا الحال غير المتوازن؟

المعادلة المعكوسة

"الرياضة تحيا بأبطالها"، هذا هو الشعار المطبق في رياضتنا، بينما عند الآخرين تصنع الرياضة الأبطال. وعلى سبيل المثال، فإن البطل وائل السعيد حقق لرياضة الكيك بوكسينغ البطولات والميداليات الذهبية في أغلب المحافل الآسيوية والعربية التي شارك بها، ووجدنا أن اتحاد اللعبة يتغنى بهذا الإنجاز وكأنه صانعه!! وعندما سألنا السعيد عن اتحاده ودوره في هذه البطولات، قال: اتحاد اللعبة لم يقدم لنا شيئاً، وعلى العكس يعيق أمورنا الرياضية!!

إنجاز معن أسعد لم يحيي اتحاد رفع الأثقال فقط، بل أحيا الرياضة كلها وبات الجميع يتغنون بهذا الإنجاز وكأنهم هم من رفع وعرق وصنع، وهم بهذا الفخر يدركون أن مثل هذه الميدالية ستكون بمنزلة البراءة من أي تقصير لهم. والغريب أن من ساهم بصناعة الإنجاز - هذا - كان غائباً، لأنه خارج اتحاد اللعبة، فتبناه اتحاد رفع الأثقال الجديد، وهو ليس له علاقة بالإنجاز، لا من قريب ولا من بعيد!!

الفكرة من الموضوع أن رياضتنا تعيش على الطفرات من أمثال أبطالنا الحقيقيين الذين يصنعون المجد لبلدهم، بينما تحرص اتحاداتنا الرياضية على التغني بإنجازات وهمية تتحقق في بطولات وهمية، لا قيمة لها على الصعيد الرياضي الآسيوي والعربي، وهذه إحدى المصائب الكبرى في الرياضة لأن همّ القائمين على الرياضة البقاء في مناصبهم أطول فترة ممكنة وعلى حساب القيم الرياضية وأبطالها ونجومها.

المهم في الأمر صناعة البطل الصغير وتحقيق الفائدة الفنية وكسب الخبرة والاحتكاك مع المدارس الرياضية الأقوى والأفضل؛ وبعدها يأتي الحصاد، وخصوصاً أننا نتكلم عن الفئات العمرية الصغيرة، لكن - للأسف - فإن عقليتنا الرياضية قاصرة عن استيعاب هذه المفاهيم.

دوري فاشل

في ذات السياق، ينطلق الأسبوع القادم دوري الدرجة الأولى لكرة القدم في أربع مجموعات بمشاركة ٢٤ فريقاً. خبراء اللعبة يعتقدون أن هذا الدوري فاشل لأنه غير مكتمل الأركان، ولا يمكنه تحقيق الغاية المرجوة منه.

الدوري ينطلق في الخامس من شهر تشرين الأول، وتنتهي مرحلة الذهاب في الخامس من الشهر الذي يليه، أي أن مدة الدوري شهر في الذهاب، ومثله في الإياب، وبعدها تغلق الأندية أبوابها لمدة عشرة أشهر؛ فالدوري هذا موسمي بكل شيء، وصار أشبه بشكله الحالي بدوري الأحياء الشعبية الذي يقام في المناسبات؛ ولم يحدث أن دورياً يعتمد على أيام معدودة هو دوري صحيح وقادر على التطور والتقدم، ولم نسمع بمثل هذا الشكل والأسلوب في أي بلد آخر ولو كان من البلدان النامية كروياً.

في عرف كرة القدم، فإن الاستمرار هو عنوان التطور، والفريق لكي يحقق الغاية منه يجب أن يلعب في الموسم الواحد خمسين مباراة على الأقل، فكيف بفريق لا يلعب أكثر من عشر مباريات فقط؟!

الخطأ الكبير أن اتحاد كرة القدم حشر في هذه الدرجة وهذا الدوري ٢٤ فريقاً، وأغلب هذه الفرق لا يملك الموارد أو اللاعبين، وليس لديه القدرة على متابعة دوري كامل، لذلك فإننا نعتقد أن هذا الدوري بشكله الحالي عالة على الأندية وعلى كرة القدم السورية.

ولأن هذا الدوري في العرف العام هو دوري رديف للممتاز فمن المفترض أن يكون مشابهاً له بعدده وشكله وأسلوبه؛ لذلك عندما يصعد الفريق من الدرجة الأولى إلى الممتازة يجد نفسه غريباً ولا يلبث أن يعود أدراجه من حيث أتى.

دوماً. الحلول موجودة، لكن الرغبة في التنفيذ غير موجودة!! ومع انعدام الفوائد والغاية من هذا الدوري، يبقى المقترح أن يتم تقليص عدد الفرق في هذا الدوري إلى النصف على الأقل بشرط أن يكون المشاركون فيه قادرون على تحمل تكاليف الدوري والاستمرار به حتى النهاية.

نبض رياضي

الألعاب الفردية وتوسيع الرؤية

«البعث الأسبوعية» ـ مؤيد البش

لم يكن مهرجان الألعاب الفردية الذي نظمه مكتب «دعم» بالتعاون مع الاتحاد الرياضي، مطلع الأسبوع الجاري، مجرد حدث رياضي تكريمي أو استعراضي، بل كان فكرة رائدة يشكر القائمون عليها كونها لفتت النظر إلى أن الرياضة ليست كرة قدم أو كرة سلة فقط، بل تتعداها لألعاب تستحق مزيدا من الدعم والاهتمام وإن كانت لا تحظى بذات الجماهيرية.

فعندما تتواجد عشرات الألعاب الفردية وتقدم عروضها للجماهير بصورة فنية تعريفية، وتحظى باهتمام مسؤول وحضور إعلامي، فإن ذلك مؤشر على أن درس أولمبياد طوكيو الماضي - الذي واصلت فيه هذه الألعاب قيادة رياضتنا نحو منصات التتويج - قد فهم وبات بالإمكان البناء عليه.

المهرجان، وإن كانت مدته لم تتعد بضع ساعات، كشف أن رياضيي هذه الألعاب متعطشون ليكونوا تحت الأضواء، فمن شاهد الحماس والتنافس لتقديم أفضل العروض أدرك أن المواهب موجودة وبكثرة في ألعاب تتطلب الكثير من الجهد والتعب وحتى التضحية المالية، ليكون المطلوب من القائمين على رياضتنا توسيع الرؤية، لنخرج من سطوة بعض الألعاب وسيطرتها على الرعاية والاهتمام.

في مرات سابقة، شددنا على ضرورة وجود استراتيجية تتعلق بتطوير هذه الألعاب وتقديم كل ما يلزم لها في سبيل الحفاظ على تواجد رياضتنا على قيد الإنجازات، لكن الكثيرين من أبطالها باتوا يطالبون اليوم بقانون احتراف خاص بهم لتتحقق العدالة مع بقية الألعاب ويكون بمقدورهم التفرغ للتحضير والاستعداد والتحسن في ظل صعوبة الظرف الاقتصادي؛ وهذا المطلب، وإن كان صعبا من الناحية النظرية كون تعديل قانون احتراف الألعاب الجماعية مضى عليه سنوات، وحتى مع وصول مكتب تنفيذي جديد، بقي معلقا بقرار المجلس المركزي الذي لم يعقد حتى الآن، إلا أنه مطلب محق وقابل للتنفيذ حال توفر الإرادة والنية لتحسين واقع هذه الألعاب ورياضييها.

لن نكون مثاليين في طروحاتنا، لكن الأكيد أن الاستمرار في ذات الطريقة في التعامل مع ألعاب تدر الميداليات لم يعد مقبولا؛ وكل الذرائع عن ضيق ذات اليد، وغير ذلك من المبررات التي حفظناها عن ظهر قلب، لن تقنع بعد الآنً، فالعام المقبل سيحمل العديد من المشاركات القارية والعربية، والأكيد أننا لن نقبل إلا أن تكون رياضتنا في أحسن صورة، وأوفر غلة من الميداليات، وهذا لن يتحقق إلا بجهود الألعاب الفردية المظلومة دعما، الناجحة نتائجا.

رياح الجمهور العاتية تعصف بسيناريو الوهم في نادي الحرية.. وشهر عسل الإدارة الجديدة يبدأ بفأل سيء!

"البعث الأسبوعية" ـ محمود جنيد

انهار سيناريو الانتخابات المقررة والمحددة، بموعد الثانية عشرة من ظهيرة الأربعاء الفائت بالنسبة لمجلس إدارة نادي الحرية، كوهم شيد على رمال شاطئ ضربته حركة المد والجذر وأمواج الجمهور العاتية التي توحدت دفاعاً عن النادي، فاردته أثراً بعد عين.

وكان باب تقديم طلبات الترشح، لرئاسة وعضوية مجلس إدارة نادي الحرية، أغلق على ثمانية متقدمين، من بينهم واحد فقط للرئاسة بعد تمديد آخر موعد لاستلام الطلبات المقرر لساعة واحدة.

من تحت الدلف

وكانت الأسماء المتقدمة هي: للرئاسة، يقظان نحاس، وهو صاحب تجربة سابقة لم تنل نصيبها من النجاح وانتهت بإعفائه بسبب مخالفة مرتكبة؛ وللعضوية كل من جودي مهلهل الشبلي، وصفوة شعار، وزين الدين التركماني عفر، ومحمد دهمان، ومحمد حاج نوري، وأديب مكتبي ومروان جاموس. ومن بين تلك الأسماء أشخاص غير مناسبين لمهمة إنقاذية، إذا ما افترضنا بأن إدارة نور الدين تفنكجي - التي جاءت بها تنفيذية حلب، قبل أن تأتي بقرار حلها المصادق عليه من قبل المكتب التنفيذي للاتحاد الرياضي العام، بعد ستة أشهر من تعيينها - ضعيفة الأداء وغير منسجمة (وهو ما دحضه رئيس النادي المعفى، وأكثر من عضو في إدارته)، أي أن الهروب سيكون من تحت الدلف لتحت المزراب.

هجمة مرتدة

لكن، وبعد استنفار جمهور نادي الحرية عبر وسائل لتواصل الاجتماعي، ورفع الصوت مجلجلاً برفضه لسيناريو الانتخابات، ووصمه بالمؤامرة الجديدة لإغراق النادي بالدمار والفشل أكثر مما هو عليه، قلب أربعة من المرشحين - وقبل يوم واحد من الانتخابات - الطاولة على رؤوس من أعد لها، إذ انسحب الدهمان والعفر والجاموس، بينما رفض طلب صفوة شعار لعدم انطباق التعليمات الانتخابية عليه؛ وبالتالي، تم إلغاء الانتخابات لعدم توفر النصاب القانوني لها، وذلك رغم محاولات البعض البائسة، ممن لهم مصلحة بسير الأمور كما هو مخطط لها، لثني المنسحبين عن قرارهم القاصم دون جدوى!

مفارقات وخضوع

والمفارقة هنا هي أن تنفيذية حلب "المسلوبة القرار والإرادة" - دون تعميم هنا - عادت إلى المربع الأول الذي كانت نفسها أشاحت النظر عنه في فترة سابقة، وقبل تعيين إدارة التفنكجي دون مبرر موضوعي، وقبل أن تمسح "الفيتو" - المفروض حينها - دون أن تتحقق إرادتها، كما أسلفنا؛ ونقصد الكابتن نزار وتى الذي أجمعت عليه جماهير نادي الحرية مؤخراً، لتستقر أخيراً على خيار تكليفه برئاسة النادي، ومعه من يرتئيه مناسباً ضمن طاقمه الإداري، دون تدخل بخياراته مع تحمليه مسؤوليتها، وما سينجم عنها من تعثر في العمل وفشل قد يحصل، ولتبصر إدارة نادي الحرية، إثر ذلك (الخميس الفائت) النور بعد مصادقة المكتب التنفيذي على مقترح إعادة تشكيلها، مؤلفة من نزار وتى رئيساً، ومعه كل من مروان مدراتي/ ألعاب جماعية، ومحمود أسود/ تنظيم، وانطوانيت بلدي/ ألعاب فردية، وعبد الله توتونجي/ كرة سلة، وصالح بودقة/ ألعاب قوة، وأنطوان شرقي/ منشآت واستثمار، أعضاء اجتمعوا في جلسة خاصة خارج النادي، وتوزعوا المكاتب بين بعضهم على غرار ما أوردنا.

الزير والبير

واليوم تأتي إدارة الوتى لتعتلي أنقاض واقع صعب، مادياً وفنياً ومنشآتياً واستثمارياً، وحتى اجتماعياً، وهي مطالبة على أعتاب الموسم الرياضي بحمل الزير من البير، وإصلاح تراكمات ما أفسده الدهر، وقرارات أصحاب الشأن المتخبطين في حلب، من وجهة نظرنا، وليس إدارة نور الدين تفنكجي الذي "دفش إلى المنصب وترك يكابد الغرق، وكان ذنبه أنه رجل نظيف دمث الأخلاق"، وهي مواصفات غير مناسبة للقيادة، حسب من طلب منه الاستقالة التي رفض تقديمها لعدم وصمه بالانهزامية، قبل أن يقال - وإدارته - وهو ما احترمه وتقبله، كما أكد لنا.

الفأل السيء

ولمساوئ الفأل والطالع، بدأ شهر العسل بين إدارة نادي الحرية التي استقبلت المهنئين، يومي السبت والأحد الفائتين، بخسارة فريق شباب كرة القدم في الديربي الحلبي، بما يحمل من أبعاد، أمام الاتحاد بهدفين، لكن ذلك - حسب المناصرين - لا يجب أن يدعو للتطيُّر والتشاؤم، مع تجديد الجميع دعمهم للإدارة الجديدة بأسمائها المحترمة، بانتظار أن تأخذ بيد النادي، وبآمال وتطلعات جماهيره العاشقة، إلى السكة الصحيحة وبر الأمان.

تحديات كبيرة

وإذ ينتظر إدارة القلعة الرياضية الحلبية الخضراء العريقة عمل كبير وتحديات كثيرة، ومسؤوليات جسام على المستويات كافة، فقد حددت - كما علمنا من مصادر مطلعة - الخطوط العريضة لأولويات عملها، إذ تجري المساعي والاتصالات "مفتوحة" مع داعمين يمدون يد العون للنادي بسخاء ومحبة "على الحلوة والمرة"، وهناك بوادر إيجابية بهذا الخصوص، كما ستعيد إدارة النادي تشكيل كوادر النادي بما يتناسب مع توجهاتها الارتقائية؛ كذلك تشكيل لجان فنية لجميع الألعاب من خبرات النادي ستعطى صلاحيات مطلقة بالعمل بما يخدم المصلحة العامة، كما سيتم إعادة دراسة وتقييم وضع المنشآت الاستثمارية، وفتح ملفاتها التي تشوب المخالفات بعضها، والتي سيتم التعامل معها وتسويتها بما يخدم مصلحة النادي ويحقق الوفرة المادية والاكتفاء الذاتي وكأمثلة، دون حصر، عقد مسبح سيزر المجحف بمدته الطويلة وبدله الاستثماري غير المتناسب مع الأسعار الرائجة حالياً، بعقد ومدة زمنية طويلة، ومقصف العبابيد المغلق رغم أن الإدارة السابقة رفعت دراسة للمكتب التنفيذي بخصوص إعادة تفعليه، ومبنى مكاتب "سيريتل"، أيضاً، الذي لا يتلاءم عقده مع أسعار الصرف الرائجة، وهو مجحف إذ يدر - حسب علمنا - ٦٢ مليون ليرة سنوياً بينما القيمة التي يستحقها تفوق ٢٥٠ مليوناً حسب موقعه الاستراتيجي، ومقر الإدارة الواسع الذي يمكن الاستفادة منه، وحديقة الياسمين التي كانت عبارة عن مقصف يرتاده كثر، لكنه أصبح مهجوراً حالياً، وملعب التنس غير المستثمر، وبقعة الأرض المحاذية للمسبح والتي يمكن استثمارها.

كرتنا مهددة بالتوقف من جديد واتحادها يغض البصر عن تجارب الدول الأخرى!!

«البعث الأسبوعية» ـ سامر الخيّر

هجمةٌ جديدة يتعرض لها اتحاد كرة القدم على مواقع التواصل الاجتماعي، بعد قراره تأجيل الجولة الخامسة من الدوري الممتاز بحجة حرصه على مشاركة لاعبي المنتخب الأولمبي مع أنديتهم وهم بكامل الجاهزية، حيث تلقى كوادر المنتخب الأولمبي لقاح كورونا، وقد ظهرت آثار التعب عليهم بعد تلقي جرعة اللقاح!!

الهجمة سببها تأخر اتحاد اللعبة في التعامل مع تفشي الوباء بشكل هو الأشرس حتى الآن من حيث عدد المصابين، وخاصةً بين لاعبي كرة القدم، وكلنا نذكر خروج سيطرة الاتحاد تماماً على الجماهير عندما سمح بالعودة المحدودة لها لحضور المباريات بنسبة ٤٠٪ من الطاقة الاستيعابية للملاعب، بحسب تعميم أصدره في ١٩ من تشرين الأول ٢٠٢٠. وقتها، قلنا سلاماً لكل الإجراءات الاحترازية بعد اعترافات غير رسمية لمسؤولي الاتحاد بعدم قدرتهم عل إيجاد حلول وآليات تضبط الجمهور، فما الذي ينتظر كرتنا بعد هذا الأسبوع؟ هل سيستأنف الدوري وكأن شيئاً لم يكن؟ أم سنكون أمام إجراءات صارمة تضمن عودة آمنة للاعبين والجمهور؟ أو سيكون التأجيل مرة أخرى هو المهرب الأفضل؟

بلدان كثيرة تعرضت تاريخياً للأوبئة لكنها استطاعت متابعة عيشها وتقدمها بفضل الاستفادة من تجارب غيرها للتغلب على مصابها، فلم لا ننظر بجدية للطرق التي تعاملت معها الاتحادات الأوروبية مع كورونا، وعودة الجماهير للملاعب؟ حيث استطاعت، رغم تتالي الهجمات وتطور الفيروس، بسرعة انتقاله في متحوره الرابع دلتا، أن تتابع دورياتها بوجود محدود للمشجعين واتباع كامل لكل التعليمات المفروضة لسلامة الجميع؛ على عكس ما حصل عندنا، فكلما زادت قوة انتشار الفيروس كلما رفعنا أيدينا أكثر معلنين تسليمنا الأمر للقضاء والقدر.

وحتى نحيط بكل ما قام به الاتحاد الأوروبي والاتحادات التابعة له، سنعود إلى أول مباراة سمح فيها بحضور الجمهور في أوروبا، وتحديداً في ٢٠ أيلول من العام الماضي، والتي جمعت لايبزيغ بنظيره ماينز في افتتاح الدوري الألماني؛ وكانت أول مرة تشهد فيها الملاعب الأوروبية عودة الجماهير في بطولة دوري محلية، حيث سمح بحضور ٨٥٠٠ متفرج، وتمّ توزيع المتفرجين بحسب البروتوكول الصحي الذي تفرضه رابطة الدوري الألماني لكرة القدم، بطريقة مشجع في كل ٥ مقاعد، مع إلزامية ارتداء الكمامات والمحافظة على التباعد الاجتماعي بين الجماهير، وحظر بيع المشروبات، كما اقتصر من يحق لهم الدخول إلى الملعب على جمهور الفريق المضيف ومن ثمّ، منح اتحاد اللعبة الضوء الأخضر للسلطات الصحية والبلديات المحلية، في كل مدينة على حدة، لاتخاذ القرارات التي تراها مناسبة في ظل غياب توافق داخل أروقة الاتحادات الفيدرالية على اتخاذ قرار بشأن عودة الجماهير من عدمها.

أما أول دولة أوروبية سمحت بعودة الجماهير بشكل رسمي فهي المجر، التي سمحت بحضور الجماهير إلى الملاعب شرط إبقاء صف فارغ بين المشجعين، وأن تبقى ثلاثة مقاعد شاغرة بين كل شخص وآخر. وسارت بولندا على خطا المجر، لكن البداية كانت بتحديد عدد الحضور بربع سعة الملعب، وكانت الفرق البولندية المعروفة بصخبها ابتكرت طرقا فريدة لتشجيع فرقها، فترة حرمانها من دخول الملاعب؛ فقد قام مشجعو بوغون شتشيتين بتوزيع حراس شرف حاملين مشاعل كل ١٠ أمتار على الطريق المؤدي إلى الملعب، فيما اعتمد ليشيا غدانسك على طباعة صور نحو ٢٠٠ مشجع على خلفيات بلاستيكية، ووزعوها في المدرجات، وانتشرت عندها ظاهرة الصور في أكثر من بلد أوروبي.

وفي مهد الكرة، إنكلترا، تأخر قرار عودة الجماهير حتى آخر جولتين تقريباً، خلال الموسم الماضي، بسبب معاناة البلاد أكثر من غيرها من موجات كورونا المتتابع؛ وسمح بدايةً بعودة نحو ١٠ آلاف متفرج، ومن ثم حضر قرابة ٢١ ألف مشجع نهائي كأس الاتحاد بين فريقي تشلسي وليستر سيتي في ملعب ويمبلي، ليأتي الدور بعدها على بطولة دوري أبطال أوروبا والدوري الأوروبي، حيث سمح بملء الملاعب بحد أقصى ٣٠ في المائة من سعتها. وطبعاً، كل هذا مصحوب بإجراءات متشددة جداً المخل فيها لا يجد له مكاناً، فالكمامات من نوعية جيدة، ويجب ارتداؤها منذ الاصطفاف لدخول الملعب إلى ما بعد الخروج منه، واللاعبون والكادر الإداري والفني يسري عليهم نفس القوانين، وكلنا يذكر تفاصيل إقامة «يورو ٢٠٢٠»، الصيف الماضي، والنجاح المستحق للمنظمين رغم كثرة المخاوف والمشككين، لكن التزام الجماهير بشروط الاتحاد الأوروبي كان السبب الرئيس في هذا النجاح.

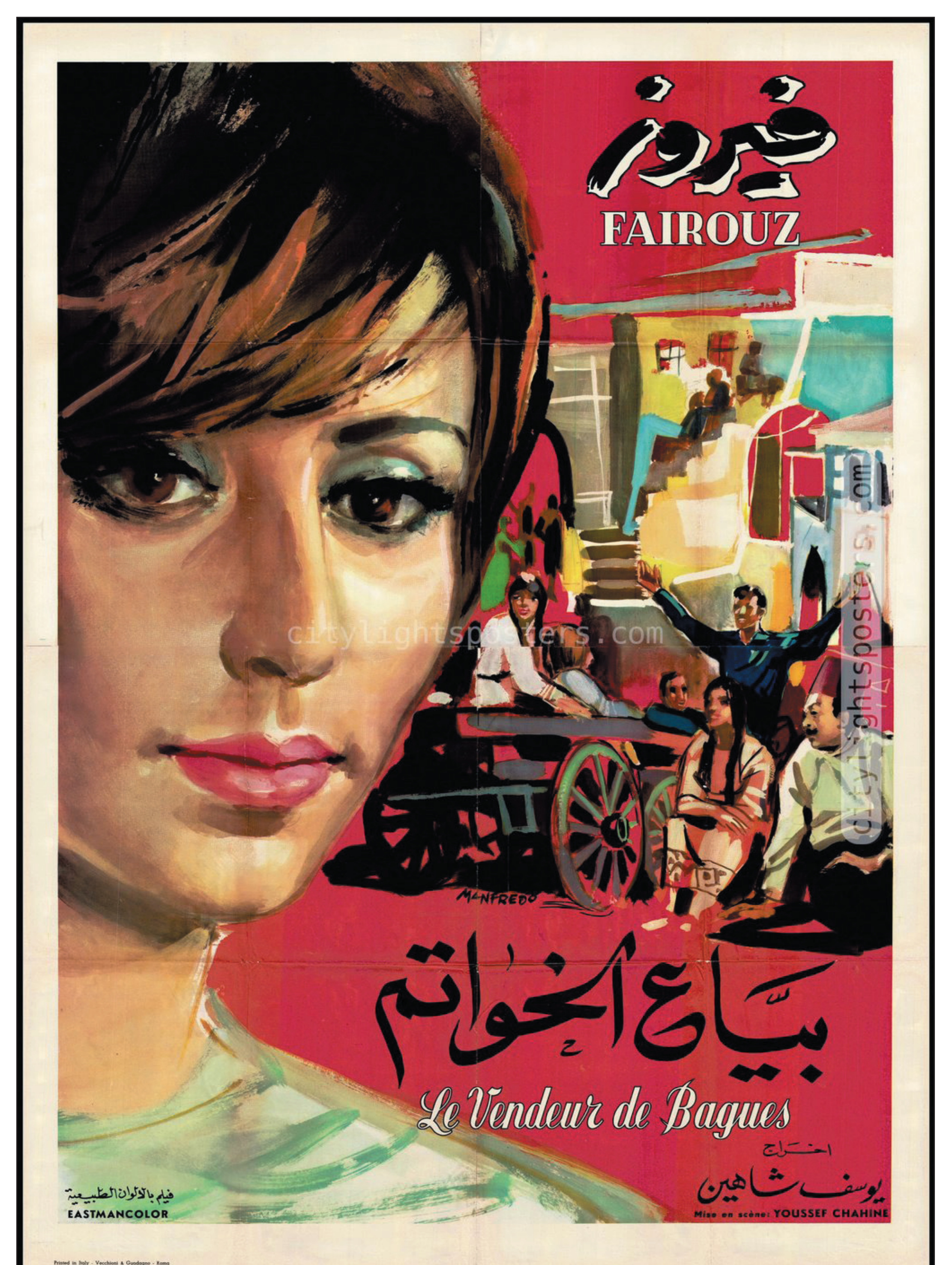
آخر الأمثلة سيكون من بلد عربي، وهو المغرب الذي غابت فيه جماهير الساحرة المستديرة عن المدرجات منذ آذار من العام الماضي وحتى الشهر الحالي، وسترتبط عودة الجماهير بالحصول على جواز التلقيح، بالإضافة إلى اتخاذ الإجراءات الاحترازية آنفة الذكر.

فإذا أردنا إسقاط التجربة الأوروبية علينا، مع الأخذ بعين الاعتبار فارق الإمكانات، نستطيع استئناف المسابقات المحلية بحضور جماهيري لكن ضمن شروط يجب الالتزام بها تحت أي ظرف كان؛ فبعد الحملة الوطنية للتطعيم، نستطيع السماح لمن تلقح بحضور المباريات - ويمكن أن يشجع هذا الإجراء على ضرورة أخذ اللقاح مستغلين عشق جمهورنا لأنديته - أو من حصل على اختبار «pcr» سلبي، أما من لم يفعلوا فعليهم ارتداء الكمامة والتباعد المكاني وتكون نسبتهم قليلة لا تتجاوز ١٠٪ من الحضور ممن تلقوا التطعيم، وكل هؤلاء يكونون من المدينة المضيفة حصراً.

ثلاثية الرحابنة السينمائية مع فيروز.. الاستثناءات النادرة!!

"البعث الأسبوعية"
ـ أمينة عباس

تُعد التجربة السينمائية الرحبانية جزءاً لا يتجزأ من المشروع الفني الثقافي الضخم الذي أتى به الرحابنة منذ أواخر عقد الخمسينيات إلى الأمس القريب؛ فبعد أن خاضوا بجدارة غمار كل الميادين الفنية، من الأغنية الرائدة، إلى الأوبريت الجميل، إلى المسرحية الغنائية الجديدة والعمل الإذاعي والمسلسلات التلفزيونية والقصيدة، جاء من يلفت انتباه الرحابنة، في مطلع العام ١٩٦٥ - صديق مقرّب لهم يدعى رجا الشوربجي وهو رجل أعمال لبناني من أصل سوري - للولوج إلى عالم السينما بما يملكونه من مقومات العمل الناجح قائلاً، كما جاء في مذكرات منصور الرحباني: "لماذا يا صديقي بعد كل هذا النجاح لا تلجون مجال السينما، خاصة وأنه يتوفر لديكم فيروز بكل جلالها وحضورها المؤنس، وعندكم الألحان الضخمة والأشعار الرشيقة وفرقة شعبية جاهزة لتلبية هذا النداء في أي وقت ترغبون؟! لماذا لا تقومون بتحويل واحدة من مسرحياتكم الناجحة إلى فيلم سينمائي؟". وبمساعدة المخرج المصري كامل التلمساني، الذي كان مستشاراً فنياً لعائلة الرحابنة، نضجت الفكرة في مخيلة عاصي الرحباني، ووقع الاختيار على مسرحية "بياع الخواتم" التي كانت قد عرضت، عام ١٩٦٤، في منطقة الأرز شمال لبنان، وفي دمشق، لتحويلها إلى فيلم سينمائي من خلال المخرج يوسف شاهين الذي تحمَّس للعمل مع فيروز. وعندما علم المنتج السوري نادر الأتاسي ما يتم التحضير له من قبل الرحابنة، عرض مساهماته في الإنتاج. وقد بيَّن منصور الرحباني، في مذكراته، أن الاتفاق كان أن تبقى المسرحية في الفيلم كما كانت على المسرح قطعة غنائية. وقد وضع يوسف شاهين ميزانية للفيلم بلغت مئة وخمسين ألف دولار في ذلك الزمن، مشيراً إلى أنه وعاصي وفيروز وصبري الشريف كانوا شركاء في الإنتاج مقابل أتعابهم، ولكن ما حدث أن حساب يوسف شاهين لم يطابق حساب التنفيذ، فإذا بالميزانية تصل إلى نحو ٣٥٠ ألف دولار.



نجح فنياً وخسر مادياً

يذكر العديد من المصادر أن فيلم "بياع الخواتم" - الذي أخرجه يوسف شاهين في بيروت عند بداية العام ١٩٦٥ - كان من المفروض أن ينجزه مخرج فرنسي يدعى برنار فاريل، لكن ظروفاً معينة حالت دون ذلك، فجرى الاتفاق بين عاصي ومنصور على إسناده ليوسف شاهين الذي لم يتردد في قبوله، وهو الذي كان يشاهد في ذلك الحين فيلماً فرنسيا - هو "مظلات شربورغ"، لجاك ديمي - فاز في "كان"، وجمع بين الإبداع اللوني وشاعرية الحوار والغناء، وهو ما كان يحلم شاهين أن يقوم به، لذلك رفض أن تُصوّر مشاهد الفيلم في قرية حقيقية لأنه أراد الاحتفاظ بالطابعين المسرحي والشاعري للعمل دون أي إيهام، وهذا ما جعله يطلب أن تبنى ضمن أستوديو عصري في ضاحية بيروت الجنوبية قرية بكاملها من خشب وورق، كما طلب من أحد العاملين بالديكور مشاهدة "مظلات شربورغ" ليتمكن لاحقاً من أن يلوّن له بيده كل باب ونافذة، فجاء الفيلم زاخراً بالألوان والديكورات الباهرة التي حررتها حيوية الكاميرا من جوها المسرحي؛ ونجح الفيلم فنياً وجمالياً بشكل جيد، وعُرض طويلاً، إلا أن عائداته المادية كانت كارثية على حد قول منصور. وقد قدمت فيروز فيه مجموعة من أجمل أغانيها، مثل "تعا ولا تجي"، و"أمي نامت ع بكير"، و"يا مرسال المراسيل"، و"يا بياع الخواتم". وقد كُتب الكثير عنه، وعقد بعض النقاد مقارنة بينه وبين أهم فيلم غنائي عالمي، ألا وهو "صوت الموسيقى"، لذلك يُعد أحد أفضل الكوميديات الموسيقية التي أنتجتها السينما العربية في تاريخها.

وتدور أحداث الفيلم حول شخصية المختار، ويجسدها المطرب نصري شمس الدين الذي يوهم أهل قريته بوجود شخص يتربص لهم - اسمه راجح - للتأثير عليهم. ومن خلال الأحداث، يعترف المختار لابنة أخته، ريما - التي تجسدها فيروز - أن هذه الشخصية من وحي خياله، وأنه فعل ذلك ليكون مؤثراً على أهل قريته. ولكن ما لم يتوقعه المختار أن شابين من شباب القرية يرتكبان جرائم سرقة، ويلفقان هذه الأفعال لراجح. وفي خضم هذه الاضطرابات، يظهر رجل طويل، قوي البنية، يتبين أنه راجح "بياع الخواتم"، الذي يقصد القرية في هذا اليوم من كل سنة ليبيع الخواتم في عيد العزاب لشباب وبنات القرية، ولينفضح أمر الشابين ويعاقبا: أحدهما بالزواج من العرافة "زبيدة" التي سرقها، والآخر بالعمل عندها، لسداد ما سرقا منها.

أفضل الأفلام

بعد نجاح "بياع الخواتم" فنياً، وعلى الرغم من أنه لم يكن مجزياً مادياً لأصحاب الفكرة، وكان ثقيل الوطأة على مخرجه، فإن الرحابنة عدّوه مشجعاً لإكمال الرحلة في ميدان السينما، ولكن هذه المرة مع مخرج آخر هو المصري، اللبناني الأصل، هنري بركات، الذي قصد بيروت، عام ١٩٦٦، ساعياً وراء أمرين: الأول استعادة جنسيته اللبنانية، والثاني العمل مع الرحابنة، ففاز بالأمرين معاً؛ وكانت حصيلة لقاء الرحابنة بالمخرج بركات، عام ١٩٦٦، فيلم "سفر برلك"، وهي كلمة تركية تعني المنفى.

يروي منصور الرحباني في مذكراته أن هنري بركات استطاع - خلافاً لزميله شاهين - خفض ميزانية الفيلم المقررة إلى حد بعيد، فلم تتخط عند نهاية الفيلم الرقم الموضوع إلا بنسبة مئوية ضئيلة، هي الهامش المتاح لكل ميزانية؛ وقد صور الفيلم في قريتين جبليتين لبنانيتين على أنهما قرية واحدة، هما عين الجوز في المتن ودوما في البترون؛ وهما قريتان كانتا تحافظان إبان تصوير الفيلم على تراثهما المعماري على نحو يشابه إلى حد بعيد التراث التاريخي. وقد نجح "سفر برلك" نجاحاً باهراً، وهو بشهادة النقاد، من أفضل الأفلام التي قدمتها فيروز، وقد غنت فيه مجموعة من الأغاني، مثل: "يا طير"، "يا أهل الدار"، "علموني"،" عنبية"؛ وقد احتجت عليه السفارة التركية لدى السلطات في كل بلد عُرض فيه، بحجة أن الفيلم ضدها. ويعتبر الناقد السينمائي اللبناني محمد سويد أن نجاح الفيلم وصموده على مدى عقود يعود إلى جملة أسباب، بدءاً من إطلاق فيروز في دور "عدلة"، وانتهاء بالوجه البطولي لمقاومة الاحتلال العثماني في حقبته الآيلة إلى الزوال، وسط زحف المجاعة وحلول الحرب العالمية الأولى.



وتدور أحداث الفيلم في العام ١٩١٤، عندما كان لبنان تحت الاحتلال العثماني. وللقضاء على المقاومة الشعبية، استولت القوات العثمانية على كل مخازن القمح، وحكمت على جميع الناس بالعمل في تقطيع الحطب، حيث كانت تعيش عدلة في القرية، مع جدتها، وكانت تنتظر خطيبها الذي كان في طريقه لإحضار خواتم الزواج، لكن العثمانيين قبضوا عليه ليعمل بالسخرة في تقطيع الحطب. ومن خلال بحث عدلة عن خطيبها، تكتشف أن عمتها وابنة عمتها من المقاومة. وعندما يعلم العسكر العثماني، من خلال جواسيسه في القرية، أن أفراداً من المقاومة مجتمعين في بيت عدلة، تقوم بتهريبهم من البيت. وبعد الكثير من الأحداث، تقرر مجموعة من المقاومين، وعلى رأسهم عبده، بعد تهريبه، الإبحار في مهمة، لتقف عدلة في نهاية الفيلم على شاطئ البحر تنادي على خطيبها الذي يعدها بالعودة ويطلب منها ارتداء الخاتم.

زيارة إلى دمشق

الفيلم الثالث للرحابنة حمل عنوان "بنت الحارس"، من إخراج هنري بركات، وتأليف الأخوين رحباني. وقد تم تصويره عام ١٩٦٨، وتدور أحداثه في قرية اسمها كفر غار، حيث يعمل "أبو نجمة"، مع زميله، حارسين ليليين للبلدة التي يضم مجلسها أعضاء فاسدين باستثناء رئيس المجلس (أدّاه عاصي الرحباني). ويقرر أعضاء المجلس صرف الحارسين من الخدمة بحجة توفير أموال البلدية. وهكذا، يضطر أبو نجمة للعمل في الميناء، ويضطر زميله - وهو الفقير صاحب العائلة - للسفر إلى دمشق ليعمل في مسرح عند شخص يدعى أبو صياح "رفيق سبيعي". وتحاول نجمة "فيروز"، التي تعمل مدرّسة موسيقى لتلاميذ مدرسة البلدة، وابنة أحد الحارسين، إقناع الأعضاء بإعادة الحارسين إلى عملهما، لكن بلا جدوى. عندها تلجأ إلى الحيلة، فتتنكر بزي لص اسمه "أبو الكفية" يرهب البلدة، وخصوصاً أعضاء المجلس، فتكشف أعمالهم غير القانونية واللاأخلاقية. ويحاول أعضاء المجلس الإمساك بـ "أبو الكفية"، وقد ظنوا بأن راعياً من قرية مجاورة هو الفاعل، ولكن بعد اعتقاله يظهر أبو الكفية مرة أخرى. وبعد أن تفشل كافة محاولات الأعضاء للكشف عن الفاعل، يتولى رئيس البلدية الأمر، ويطلب من أبو نجمة سراً العودة إلى البلدة، والقبض على "أبو الكفية". وفعلاً، يعود أبو نجمة دون علم ابنته، ويصطدم بها وهي تمثل دور "أبو الكفية"، ويطلق عليها النار فيجرحها في يدها، ولا يجد بداً من تسليمها لأعضاء المجلس الذين يحاولون معاقبة نجمة، لكنها تلمح لهم بفضح أعمالهم السيئة، فيتراجعون ويظهرون للصحافة أن الراعي هو "أبو الكفية". وهكذا تنتهي القصة بعودة الحارسين إلى عملهما عودة الأبطال.

ومما غنت فيروز في الفيلم، نذكر: "غيبي ولا تغيبي"، "يلا تنام"، "نسم علينا الهوا"، "تك تك يا أم سليمان"، "طيري يا طيارة"، "ياعاقد الحاجبين"، "اطلعي يا عروسة". وبعد هذا الفيلم، قال منصور الرحباني: "أتممنا الدورة التي معها دخلنا إلى التراث اللبناني من مختلف أبوابه: المسرح والإذاعة والتلفزيون ثم السينما، ونشرنا تراثنا الموسيقي والغنائي والحواري بين الناس عبر تلك الوسائل، فراج وبقي في قلوبهم".

إنتاج معولَم

باكتمال ثلاثية الرحابنة السينمائية، رأى الناقد محمد سويد أن من الاستثناءات النادرة أن يقيّض لفيلم محلي أن ينطق بلهجته الأصلية حتى ولو كان أبطاله غير مصريين، مؤكداً، في معرض تقويمه لهذا الإنتاج، أن الثلاثية الرحبانية أسهمت بوجود بعض التصنيف غير المسبوق؛ حيث لم يحصل، قبل "بياع الخواتم"، أن عرف الإنتاج اللبناني نقل أثر مسرحيٍ أو مغنى إلى الشاشة الكبيرة، ولم يفرض الفيلم التاريخي حضوره قبل "سفر برلك"، مشيراً إلى أن لعمل الرحابنة وفيروز خصوصيات شعرية وموسيقية وغنائية ساهمت في صون تجربتهم السينمائية من التسوية اللغوية عبر وضعها في عهدة مخرجين مصريين كانوا فائقي الإحساس بتحدرهما من أصول عائلية لبنانية، دون أن ينكر - سويد - أن التجربة السينمائية اللبنانية، هذه، لا تعتبر صادرة عن أصول لبنانية خاصة، وقد قدمت نفسها أنموذجاً مبكراً للإنتاج المعولم في أفلام محلية لا تتجاوز همومها دائرة قرية من نسج الخيال، حيث جمعت خبرات مصرية وسورية وعراقية وفرنسية، وقد حمّضت وطُبعت في باريس ولندن، وأشرف على إنتاجها المنتج السوري نادر الأتاسي؛ واللافت في هذه الأعمال ظهور عاصي الرحباني في الأفلام الثلاثة، والإصرار على الإضاءة على العلاقة التاريخية الوطيدة التي تربط لبنان بسورية؛ فإذا كان فيلمهم الأول "بياع الخواتم" خلا من أي إشارة تخرجه من نطاقه اللبناني القروي المحض، فإن في الفيلمين الآخرين أكثر من علاقة مميزة. ففي "سفر برلك" هناك شخصية درويش الحاضرة لدعم اللبناني بالقمح، وبالنضال المشترك ضد المحتل العثماني، وفي "بنت الحارس" هناك زيارة إلى دمشق التي لجأ إليها أحد الحراس في إطار رحلة بحث عن رزقه في أحد مسارحها.

البطلة فيروز

في رصيدها مئات الأغاني، وأكثر من ١٥ مسرحية، أكثرها من تأليف وتلحين الأخوين رحباني. لُقّبت بشجرة الأرز اللبنانية، وسفيرة العرب، وجارة القمر، والصوت الملائكي، وصوت الحب، وصوت الأوطان، وسيدة الصباح؛ وقد وُلدت في بيروت، وقدّمت، مع زوجها عاصي وأخيه منصور، العديد من الأوبريتات والأغاني التي يصل عددها إلى ٨٠٠ أغنية. بدأت الغناء وهي في عمر السادسة تقريباً، وبدأت عملها الفني، في العام ١٩٤٠، مغنيةَ كورس في الإذاعة اللبنانية، عندما اكتشف صوتها الموسيقي محمد فليفل، وضمها لفريقه الذي كان ينشد الأغاني الوطنية، وألّف لها حليم الرومي، مدير الإذاعة اللبنانية، أول أغنياتها، وأطلق عليها اسم فيروز، ولحن لها بعض الأغنيات، ونالت جوائز وأوسمة عالمية. وفي السينما لم تُقدم سوى ثلاثة أفلام فقط.

ومضة

زمن من ورق

«البعث الأسبوعية» ـ سلوى عباس

لطالما كانت المكتبة ثمرة من ثمرات النضج الثقافي، وجدت عندما ظهرت المسجلات المكتوبة في تنظيم العلاقات الإنسانية، لذلك أنشئت لتكون مزار رواد العلم؛ وتنوعت المكتبات حسب التدوين من الرُقُم المسمارية والألواح الطينية إلى الكتاب والورق ثم إلى عالم الميديا، كما تتطور أداة نقل المعرفة وحفظها من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر.

في زمن يناهد الثقافة والجمال، يعود لثمانينيات القرن العشرين، كانت مكتبة نوبل تمثل ملمحاً ثقافياً مهماً في دمشق، وقبلة للكثير من طلاب الثقافة والمعرفة، وشكلت حضوراً متميزاً في ذاكرة مثقفي سورية والقراء الذين تحولوا مع الزمن إلى أصدقاء حقيقيين لأصحابها الأخوين، جميل وأدمون نزر، هذه المكتبة التي شكلت محطة من أجمل محطات حياتنا كجيل كان الكتاب زاده المعرفي الأول وإغلاقها الآن في هذه الظروف القاسية هو موت الجميل والحميم من مفردات حياتنا، وقد ضجت منصات التواصل الاجتماعي بقرار إغلاقها الذي قسم رواد هذه المنصات بين من حزن على ما وصل إليه حال الثقافة والكتاب، وبين من سخر من هذا الحزن واعتبره مبالغاً فيه، وهذا ليس بجديد على من اتخذوا من هذه المنصات منبراً لآراء يطلقونها لا تحمل من الموضوعية أي شيء، فالقضية ليست في إغلاق مكتبة فقط، بل بما يحمله تناقص عدد المكتبات التي تشكل ثروة كبيرة حتى في الزمن الاستهلاكي من ظاهرة سلبية، وإغلاق بعضها يمثل صدى موجعاً في أوساط المثقفين والمهتمين بالكتاب، خاصة بعدما انخرط هذا الجيل في القراءة الافتراضية على شبكة الانترنت.

في عام ٢٠٠٩، قصدت مكتبة نوبل لاقتناء مجموعة من الكتب وضعها لي أحد الروائيين في المكتبة، وما إن دخلت حتى أخذني فضولي إلى استطلاع عناوين الكتب المرتبة في أرجاء المكتبة حسب نوعية كل كتاب، وبعد دقائق من وجودي بادرني صاحب المكتبة بالسؤال إذا كان باستطاعته مساعدتي بشيء، فابتسمت وقلت له: إنه الفضول الذي يلح علينا في حضرة الكتب لمتابعة أي جديد، فامتد الحديث بيننا عن الكتاب وأهميته، وعرفني على نفسه أنه «أدمون نزر»، وحدثني عن تجربته مع الكتب وكيفية تشكيل المكتبة واختياره للكتب التي يقتنيها، وكيف استمرت حتى الآن، وأبدى أسفه للحال الذي وصل إليه الكتاب، وانصراف الناس عنه، وما أصبح عليه طلاب الجامعة الذين يمثل الكتاب آخر اهتماماتهم. وعندما استعرضت الأسباب التي قد تشكل عائقاً أمام الطلاب في اقتناء الكتاب كارتفاع سعره، استنكر هذا السبب واستبعده، واستشهد بجيله الذي كان يوفر مصروفه اليومي ليشتري كتاباً، وجيل هذه الأيام لا يشكل سعر الكتاب عائقاً أمامه لأنه من وجهة نظره ينفق مصروفه في أمور تافهة، إضافة إلى شرائه لكتب بعيدة عن المعرفة والفائدة. ومع ذلك لم يخف السيد أدمون تفاؤله بأن هناك قارئاً حقيقياً متتبعاً للكتب، ومؤمناً بمتعة القراءة رغم التقنيات المتوفرة، ولقناعته أن القراءة تمثل ظاهرة حضارية وما يعيشه الكتاب الآن هو جزء من هذه الأزمة الحضارية الشاملة، كما حدثني عن أهمية وضع خطة معرفية لتشكيل جيل يدرب على ثقافة القراءة وحرفيتها يتذوقها ويحس بمتعتها، وهذا الجيل سينقلها إلى الأجيال الأخرى.

إن خبر إغلاق «مكتبة نوبل»، وما تلاه من ردود فعل بين الناس، يمثل جزءاً من أزمة تعيشها الثقافة بشكل عام والكتاب بشكل خاص، حيث تهيئ المكتبات الرقمية اليوم ظروفا توفر الكتاب الالكتروني والوصول اليسير للقراء أينما كانوا، رغم أنه ليس الجميع سعداء بالكتاب الإلكتروني وما حققه من تطورات على صعيد النشر والتأليف والترجمة والتوزيع والوصول اليسير للقراء أينما كانوا، ولا تزال المعركة محتدمة بين الكتاب الورقي والكتاب الإلكتروني، والإقبال اللافت الذي تشهده المكتبات ودور الكتب ومعارض الكتاب العربية السنوية تخبرنا أن الكتاب الورقي لا زال يحتفظ بجاذبيته وخصوصيته وأنصاره. وفي ظل ظروف العزل والحجر وإغلاق المدارس والجامعات والمكتبات بسبب جائحة «كورونا» تشكل هذه المعارض نافذة للإطلاع على ما أبدعته العقول والثقافات لتجديد العلاقة والصداقة مع الكتاب وإعادة الاعتبار له كخير جليس وتحفيز قدراتنا الذهنية والإبداعية، ويأتي يوم تستعيد فيه المكتبات ألقها المعرفي والثقافي

مكتبة «نوبل» في ذمة الغياب.. العم إدمون إرث تاريخي وحضاري لا ينضب ودمشق تفتقد معالم الثقافة وحب الكتب

«البعث الأسبوعية» ـ جُمان بركات

لم يكن مجرد مالك مكتبة، أو «صاحب رزق»، فقد كان كأي محب للقراءة والاطلاع على كل ما هو جديد في عالم الكتب، على اختلاف أنواعها، يقرأ كل كتاب يدخل إلى مملكته، مهما كان شأنه، ويعرف مكانه بالتحديد، ودون ضياع بين الآلاف المركونة منها، وكان القنديل الذي أنار دروب الكثيرين، ون دخل أي قارئ ووجد نفسه بحالة ترد ولا يعرف ماذا عليه أن يقرأ، يقدم السيد إدمون نصيحته على الرحب والسعة، مع ابتسامة، وتأكيد بأنه وفق في اختيار الكتاب أو الرواية المناسبة.

يقول بورخيس: «لطالما تصورت الفردوس سيكون شيئاً كالمكتبة». وخلال أيام، ستودّع دمشق واحدة من أواخر فراديسها الجميلة مع إعلان خبر إغلاق مكتبة «نوبل» على صفحات التواصل الاجتماعي. من المتصفحين من أهمل الخبر ومر عليه مرور الكرام دون الاهتمام له مؤكداً أن من الأفضل الالتفات إلى لقمة العيش والوضع الاقتصادي والاستفسار عمن «يقرأ الآن في هذه الظروف الصعبة»، والبعض قال إن مكتبات الرصيف ما زالت موجودة. آخرون كان وقع الخبر صادماً ومحزناً، فلهم ذكريات جميلة ولطيفة معها، قد وحاولت من خلال بعض الدردشات استعادة هذا التاريخ الجميل مع هذه المكتبة العريقة، التي بالتأكيد ستبقى في الذاكرة الثقافية السورية والدمشقية حتى بعد إقفالها.

ثروة فُقدت

بداية يمكنني التحدث عن تجربتي المتواضعة التي بدأت عندما كنت في المدرسة الثانوية. مررت مراراً في شارع ميسلون، وكنت أقرأ اسم «مكتبة نوبل»، دون أن يخطر في بالي إلا أن اسمها يشبه جائزة نوبل العالمية الذي سمعته كثيراً في الإذاعة والتلفاز خلال فترة أخبار المنوعات وتقارير المهرجانات الثقافية والفنية وحفلات توزيع الجوائز. وبما أن لكل شيء من اسمه نصيب، فبالتأكيد «مكتبة نوبل» كانت في غاية الأهمية؛ وعندما زرتها لأول مرة مع صديقتي، دخلنا ووجدنا رجلاً يبتسم ويجلس على كرسيه في زاوية المكتبة، استقبلنا السيد إدمون بكل حب!! وفيما كانت صديقتي تبحث عن كتاب، كنت مشدوهة لعدد الكتب، وأيضاً لآلية ترتيب وتنظيم المكان. وباعتباري متهمة بأنني من الجيل التكنولوجي والرقمي، قلت لنفسي بأن صاحب المكتبة بالتأكيد يعتمد على برنامج «إكسل» في معرفة كل كتاب، وأي رف يضمه، وفي أي زاوية أو قسم، ولكن عندما نظرت للرجل تأكدت أن من المستحيل أن يعتمد على التكنولوجيا، فبرنامج الترتيب محفوظ في ذاكرته دون الاعتماد أو اللجوء إلى أحد. فقد اشتغل السيد إدمون على مكتبته وكأنها ولد من أولاده، وكان يعرف كل تفاصيلها ويعتني بها حتى لا تتعب من الزمن.

أكملت بعدها تأملي في المكان وشاهدت ذلك الدرج الدائري الذي يأخذك إلى مكتبة أخرى، وهي بمثابة ثروة العم إدمون بالتأكيد، وثروة القراء السوريين، التي فقدها، وسنفقدها معه.

المصباح السحري

عند إعلان الخبر، وفي جلسة هدوء، وبعيداً عن ضوضاء العمل، جلست مع الأستاذة سلوى عباس، أمينة تحرير الثقافة، وتحدثنا عن المكتبة التي كانت لها ذكريات جميلة معها. قالت: لا يمكنك الضياع في ذلك الركن الصغير الكبير، فهناك شخص يجلس ويمشي معك لمساعدتك في اختياراتك، وما عليك سوى قول كلمة من العنوان، واللحاق بالسيد إدمون ليعطيك الكتاب المطلوب على الفور، فإن عجز عن تلبية طلبك - وهو أمر نادر الحدوث - يتحول السيد إدمون إلى مصباح سحري، ويعدك خلال يومين بإحضاره، ويصبح الكتاب بين يديك. إن الصفة الأهم عند صاحب مكتبة نوبل هو أنه مدرك تماماً ما تحتويه مكتبته من معرفة وثقافة، وهو على اطلاع بكامل تفاصيلها، وليس كالمكتبات التي هجرها أصحابها قبل إغلاقها، وعينوا موظفين فيها، يهتمون فقط بتلبية طلب الزبون، وقبض ثمن الكتاب، دون أية معرفة عن مضمونه.

إقفال مكتبة نوبل؟

مهما تطاولت ذكرياتنا في صدمة قرار إغلاق مكتبة نوبل، فإنها لن تغير في الأمر شيئاً. الحدث ليس وليد اليوم أو الصدفة، والأمر نَسجُ سنوات حرفتنا عن القراءة الجادة والمثمرة إلى التسطح والابتذال.

عن ذكرياته، تحدث والدي، د. وائل بركات: ذكرياتنا — وأقصد هنا أكثر من جيل تربى على القراءة والثقافة والمعرفة - تتسع لقول الكثير الذي لا يبدأ بثقافة صاحب مكتبة نوبل، السيد إدمون وأخيه، فهو ينصحك بخلاصة قراءاته، وينفعك باقتناء الأفضل، ولا يتوقف عند تيسيره أمر الشراء بالتقسيط - لعدد من زبائنه المواظبين - ليتمكن طلاب الثقافة والباحثون عن المعرفة من اقتناء كتاب سمعوا عنه لكنهم لا يستطيعون تسديد ثمنه دفعة واحدة، ولا ينتهي عند النقاشات التي كانت تدور بين صاحب المكتبة وزبائنه الذي قرؤوا أو عرفوا معلومات عن كتاب جديد صادر، وكأن المكتبة ندوة ثقافية مصغرة تهتم بالأفكار وثقافة الكتاب أكثر من اهتمامها ببيعه، أياً كان السعر رخيصاً أو مرتفعاً. هذا إن لم نذكر أن هذه المكتبة ومثيلاتها كانت تؤمّن بالقدر المستطاع أحدث الكتب وأفضلها المطبوعة خارج القطر، وغير ذلك مما امتازت به.

بالتأكيد يمكن أن نقدر تعب السيد إدمون وعمله المستمر أكثر من خمسة عقود متواصلة، وأن نتخيل ما أصابه من إرهاق وإحباط بفعل العزوف عن القراءة الذي أصبح صفة منتشرة بين أجيال الشباب حالياً، وأن نتفهم المردود الاقتصادي الضعيف الذي يضيّق على أمثاله، كونه لا يعادل جزءاً بسيطاً من تعبه، لكن التراث العريق لا يكون ملكاً فقط لأصحابه المباشرين بل يتعداهم ليصبح ملكاً عاماً للمجتمع بالمعنى القيمي والتاريخي لا بالمعنى المادي. ومن هنا، يقع على عاتق الجهات صاحبة العلاقة مسؤولية الحفاظ على المعلَم الفكري والثقافي والحضاري ليظل شعلة أمام الأجيال، سواء أكان ذلك بإعانة أصحاب المعلم الثقافي مادياً ومعنوياً ودعمهم بشتى الطرق ليستمروا شاهدين على دورهم المهم في المسيرة الثقافية لزمن امتد لأكثر من نصف قرن؛ فهل نستذكر مقهى الهافانا الذي بيع في غفلة — ثقافية تاريخية - ليتحول إلى محل ألبسة لا يختلف عن أي محل آخر يقوم بالوظيفة نفسها، لكننا بالتأكيد لن نجد في أي مكان آخر القيمة التاريخية والثقافية الكبرى المجموعة في هذا المقهى.

المطالبة ليست بالحفاظ على مكتبة نوبل أو آخر ما تبقى من المكتبات السورية، بعد أن فقدنا عدداً منها كـ «اليقظة» و«ميسلون» و«أطلس» وغيرها، ولا بالإرث الثقافي والتاريخي والحضاري لمدينة العراقة، دمشق، فقط، بل بالمحافظة عليه أينما وجد في بلد يعتز بوجهه الحضاري الأبدي.

الأمير الصغير

لم أتوقع أن تكون «مكتبة نوبل» في خدمة الفنانين التشكيليين أيضاً فلكل منهم ذكرى ولو بسيطة معها، وبالنسبة لصديقي الفنان رامز حاج حسين قال:

إنها العادة التي درجت عليها منذ أن كنت طالباً في كلية الفنون الجميلة، فثقافتي البصرية مستمدة من بسطات الكتب التي تبيع نسخاً قديمة من القصص المصورة العالمية «الكوميك»، من مجلدات «المانغا» اليابانية و«تان تان» البلجيكية، وباقي الرسوم الخاصة بـ «السوبر هيرو»؛ ونادراً ما كنت اقتني كتباً من مكتبة خاصة أو عامة لندرة طلبي في تلك المكتبات الأنيقة. وبالأمس القريب، كان لدي زميلة تناقشني بقصص الأطفال، فعرجنا على ذكر رواية «الأمير الصغير» للكاتب الفرنسي أنطوان دو سانت إكزوبيري، وحين قررت الحصول على نسخة من الرواية باللغتين العربية والفرنسية، الكل أشار بالبنان لمكتبة عريقة تقع في قلب دمشق، اسمها «نوبل». إطار من خشب لواجهة زجاجية، وباب فيه من رائحة العبق العتيق وذكريات المثقفين الذين ولجوه، الكثير. دخلت فاستقبلني صاحبها بابتسامة وكان لديه ضيوف كثر، لما طلبت الكتاب حمله من أحد الرفوف كتحفة نادرة، وراح يستعرض بطريقة جميلة ومسرحية تاريخ الكتاب والكاتب، ويتحدث - وكأنه هو صاحب الكتاب - عن المغامرة وجودة الترجمة وعن أصالة النص باللغة الفرنسية. هذا الانطباع ما زال في ذاكرتي إلى الآن، وقد أعاد فيض الحنين نبأ إغلاق هذه المكتبة شعلة النور المميزة في قلب دمشق. لله در الثقافة وذكرياتها!! ولله در الزمان الذي نعيشه وما يفعله بنا!! مغامرة صغيرة لحكاية صغيرة وأمير صغير يعيش على كوكب بعيد لوحده، قدر الثقافة أن تمر برحلة الوحدانية في هذه القطعة من المعمورة.

زائر المكتبة

عندما كنا نناقش قصة إغلاق المكتبة في قسم الثقافة في جريدة «البعث»، قال زميلي تمام بركات: السيد إدمون له فضل كبير عليّ، فعندما ذهبت إليه وطلبت منه كتاباً مترجماً قدم نصيحة بأن اقتني كتباً للمترجم صالح علماني، ومنذ تلك اللحظة عرفت المترجم العبقري، وأنا مدين للسيد إدمون بهذه المعلومة.

عن ذكرياته مع المكتبة أضاف تمام:

لن تكون الألفة والشعور الهائل بقوة إيحاء العناصر المكونة للمشهد العام داخل مكتبة «نوبل» هي ما يقبض على مشاعر الدهشة فقط، بل أيضاً صوت ذاك الرجل المستغرق في القراءة، وفي يده كتاب لغادة السمان، ثم في لحظة خاطفة، تصبح الصداقة هي ما يجب أن ينشأ بين زائر للمكتبة - وليس زبونها - وبين الرجل الجالس إلى طاولة خشبية بين رفوف الكتب، يسرد ابتسامته مؤهلاً برواد المكتبة. هذا ما كانت تتركه مكتبة «نوبل» في نفس زائرها للمرة الأولى، وهذا بالنسبة لقارئ مبتدئ، ليس بالقليل أبداً.

ثمة سببان أكيدان خلف قرار إغلاق المكتبة الواقعة في وسط دمشق - شارع ميسلون، أولهما: التطور التكنولوجي والرقمي الذي اكتسح العالم، فاليوم لكل مكتبته، وهي موجودة في متناول يده متى شاء، إن كان في جواله أو في حاسوبه المحمول، وهذا السبب جعل حتى المكتبة المنزلية يلفها الغبار، أما السبب الثاني والمرتبط فعلياً بالأول، فهو السعر المرتفع للكتب عموماً، وفي سورية التي تمر بظروف اقتصادية صعبة، بالتأكيد لن يكون الإقبال على شراء كتاب - ثمنه يوازي نصف راتب موظف تقريباً - مقبولاً حتى!!

الذكرى الجميلة هي ما يبقى ويدوم في خاطر ووجدان الناس مع الأمكنة التي يحبونها، والتي تتغير هويتها في دمشق تغيراً هائلاً، ومكتبة نوبل ليست استثناءً.

يقول «أبو الطيب» في قصيدته «صَحِبَ النَّاس»، والتي قرأتها من ديوان المتنبي الذي ابتعته من مكتبة نوبل في تسعينيات القرن الماضي:

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا/
وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْـ /
ـهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا
رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيـ /
ـهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا

وما قاله المتنبي، يخبر الكثير عن ضروب الزمان وفعائله، إن كان بالناس، أو بالأمكنة، ومنها مكتبة «نوبل».

في يوم الترجمة العالمي.. هيئة الكتاب تعنى بالترجمة في المرتبة الأولى

"البعث الأسبوعية" ـ علا أحمد

تحتل الترجمة أهمية كبيرة في حياة الشعوب والأمم، فاللغة أداة تواصل بين الناس تعبر عن حاجاتهم وتعكس تقدمهم ورقيهم في شتى مجالات المعرفة، ودور الترجمة يأتي بنقل حضارة كل شعب إلى آخر. ويُختصر عمل المترجمين إلى أنه مهما اختلفت ثقافتنا فإننا جميعاً ننتمي إلى عالم واحد، فالمترجمون رسل الشعوب إلى الشعوب وأساس التواصل العالمي، ولأهمية ونبل هذا العمل تم اختيار يوم ٣٠ أيلول من كل عام للاحتفال باليوم العالمي للترجمة، والذي يرعاه الاتحاد الدولي للمترجمين الذي تم تأسيسه عام ١٩٥٣، ويأتي الهدف من هذا اليوم لإظهار تعاضد المترجمين في جميع أنحاء العالم ولتعزيز مهنة الترجمة في مختلف الدول، وتعتبر الاحتفالية فرصة لعرض مزايا هذه "المهنة" التي تزداد أهميتها في عصر العولمة.



العبء على الهيئة

في سورية، وبالرغم من ظروف الحرب والأزمة التي طالت معظم جوانب الحياة، إلا أن حركة الترجمة ما زالت مستمرة، وتعنى بها بالدرجة الأولى الهيئة العامة السورية للكتاب، التي أولت منذ تأسيسها عام ٢٠٠٦ مسألة الترجمة اهتماماً خاصساً، وأطلقت في عام ٢٠١٧ مشروعها الوطني للترجمة، حيث بدأت في وضع خطط تنفيذية لهذا المشروع كل عام.

عن ذلك، يقول د. ثائر زين الدين، مدير عام الهيئة: "تُكلّف الهيئة لجنةً من كبار **المترجمين** والباحثين بوضع مفردات الخطة للعام نفسه. وبالتالي في كل عام، يتم اختيار مجموعة من الكتب التي قد يبلغ عددها ٦٠ أو ٧٠ عنواناً، من مختلف حضارات وثقافات العالم، حتى إننا في إحدى السنوات طرحنا نحو ٢٠٠ كتاب، وأردنا أن نشرك الجهات المختلفة التي تُعنى بقضايا الترجمة في سورية، كاتحاد الكتّاب العرب ودور النشر الخاصة ومعهد الترجمة، في هذا الأمر؛ وطرحنا العنوانات التي اخترناها، وقدمت وزارة الثقافة كثيراً من التسهيلات، غير أن ذلك لم يُكتب له النجاح وبقي العبء الأكبر على هيئة الكتاب".

ويتابع د. زين الدين في عرضه لخطة الترجمة لعام ٢٠٢١: "منذ الشهر الأخير من العام الفائت وُضعت الخطة التنفيذية للمشروع الوطني للترجمة، والتي تضمنت نحو ٦٧ كتاباً، أنجز منها — طباعةً — حتى الآن نحو ٢٠ كتاباً، وتركّز الهيئة في كتبها المترجمة على مجالات شتى، فهي لا تقف في ترجماتها على الأدب فقط، بل تُصدر كذلك كتباً في الفكر، والفلسفة، والسياسة، والمسرح، والفن التشكيلي، والموسيقا، وسوى ذلك، إضافة إلى الكتب العلمية غير المغرقة في التخصص بحيث يمكن للقارئ العام الاستفادة منها، كالكتب التي نشرناها عن الأمراض، والفيتامينات، وهندسة النانو، وغيرها.

ضغوطات وصعوبات

وبالرغم من الصعوبات المختلفة التي تواجهها الهيئة في تأمين مواد الطباعة، إلى جانب توقفها عن العمل لفترة معينة بسبب الحجر الذي فُرض نتيجة جائحة كورونا، يشير د. زين الدين إلى أن الهيئة قد أصدرت نحو ٥٠ كتاباً وكتيباً في مجال الترجمة، إضافة إلى نحو ٥٠ كتاباً مترجماً وجاهزاً بانتظار دفعها إلى الطباعة، إضافة إلى تجربة نشر الكتاب الناطق، والكتب التي صدرت عنه في مجال الترجمة. يُضاف إلى ذلك ما ينشره موقع الهيئة الإلكتروني من كتب إلكترونية مؤلفة ومترجمة، إلى جانب المجلات والدوريات، وبينهما مجلة مهمة متخصصة بالترجمة، هي مجلة "جسور ثقافية"، بحيث يُتاح للقرّاء في شتى أنحاء المعمورة الاطلاع على كتب الهيئة وإصداراتها.

تقصير ولقاءات

ويعترف رئيس اتحاد الكتاب العرب في سورية د. محمد الحوراني بأن هناك تقصيراً في مجال طباعة الكتب المترجمة في اتحاد الكتاب العرب خلال السنوات القليلة الماضية، وهذا يعود لكثير من الأسباب، منها التراجع في طباعة الكتاب عموماً والمترجم خصوصاً، بسبب أزمة "كورونا" والضغوطات الاقتصادية، لكن هذا التقصير لم يمنع القائمين على وضع خطة طباعة من أجل التعويض. يقول د. الحوراني: ثمة خطة لطباعة بعض الترجمات في مجالات مختلفة، وقد تم طباعة كتاب "طائر الزرزور والتفاحة" ضمن سلسلة أدب الأطفال، وهو مترجم عن الفارسية، وثمة بعض الكتب التي ستطبع قريباً، منها كتاب "التنسيب الأدبي"، ترجمة الناقد والمترجم حنا عبود، وكتاب آخر عن "الدور الأمريكي في صناعة الإرهاب"، وكتب أخرى في مجالات مختلفة. من جهة أخرى، تم استئناف طباعة مجلة "الآداب العالمية" وهي مجلة فصلية تعنى بنشر المواد المترجمة من الأدب العالمي في مجالات الدراسة والنقد والشعر والقصة والمسرح وغيرها، وكذلك المواد التي تتناول الأدب العالمي في مجالات الدراسة والنقد والبحث الأدبي، وقد تم إصدار الأعداد ١٨٥ و١٨٦ و١٨٧ خلال هذا العام؛ كما يتم التحضير لإصدار عدد خاص عن الأدب المقارن يتناول ملفات مختلفة في هذا المجال؛ كما أن اتحاد الكتاب أخذ على عاتقه الاهتمام بالأدب الأفريقي وأدب بلاد جنوب شرق آسيا وفي هذا الاتجاه، تم عقد لقاء مع سفير جنوب أفريقيا في سورية، وكذلك مع السفير الهندي في سورية، بهدف العمل على ترجمة أدب هذه الدول إلى العربية، لأن ثمة تقصيراً في ترجمة هذه آداب هذه اللغات إلى العربية، فمعظم الترجمات تكون عن الانكليزية والفرنسية والروسية".

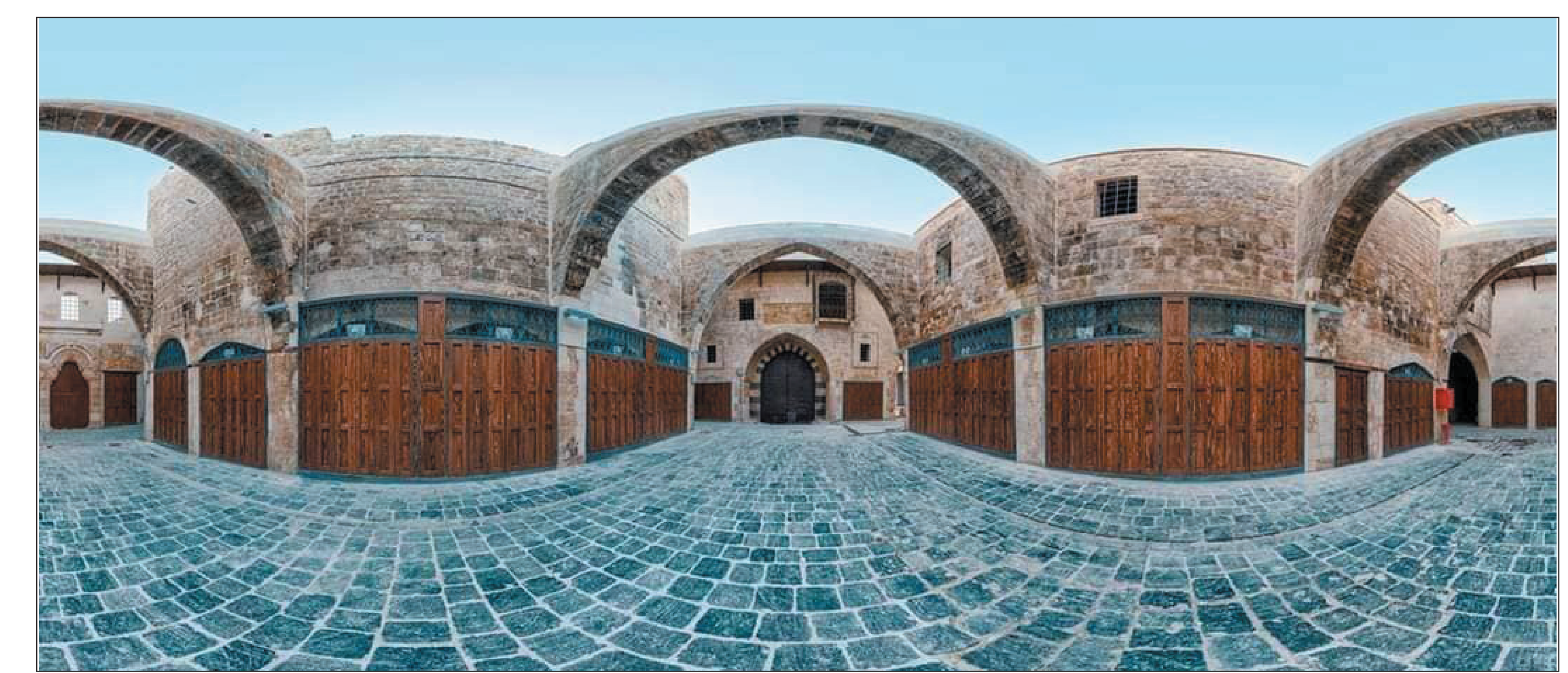
المترجم السوري

في يوم الترجمة، يجب أن لا يُغفل الدور الكبير للمترجم ولجهوده الجبارة في هذا المجال؛ وعن هذا يقول د. حوراني: تقديراً لجهود المترجم السوري فقد اعتمد اتحاد الكتاب إقامة ندوات عن بعض المترجمين حيث أقامت جمعية الترجمة ندوة عن المترجم والأديب عبد المعين الملوحي في مدينة حمص بمشاركة عدد من المترجمين، مثل: د. ثائر زين الدين ود. ممدوح أبو الوي ود. نزار عيون السود والدكتور باسل المسالمة والأساتذة: حسام خضور ومحمد الدنيا وشاهر الملوحي، ونجل الفقيد الدكتور منقذ الملوحي، مع قصيدة للشاعر مظهر الحجي، وستقام لاحقاً ندوة عن المترجم والناقد صياح الجهيم في محافظة السويداء، وهذا يأتي في إطار تكريم المترجمين والأدباء السوريين.

في الختام

في الحقيقة، اليوم العالمي للترجمة هو فرصة لتكريم المتخصصين في اللغة، والتأكيد على أهمية عملهم في توحيد الأمم، وتسهيل الحوار، وتمكين التفاهم والتعاون، وتعزيز التنمية والسلام والأمن في العالم وبالتأكيد يلعب المترجمون دوراً رئيسياً في تطوير الأعمال والتجارة والعلوم والطب والأدب، وجميع المجالات التي يتم فيها إنتاج الكتابة كنشاط لنقل المفاهيم الأدبية والعلمية والتقنية من لغة إلى أخرى، فشكراً لأولئك الذين بفضلهم أصبح لدينا نصوص لشكسبير وغوته وفولتير وتولستوي وغيرهم.

خاتمة طريق الحرير الحلبيّ تراث مستقبليّ.. جماليـات استراتيجيـة بإيقاعـات حضارية



«البعث الأسبوعية» ـ غالية خوجة

تمر الأزمنة مرور السراب إذا لم يرسخها الفعل الإنساني الحضاري كثقافات لذاكرة الأمكنة تتضمنها أشكال مختلفة للكتاب، تمنحنا قراءات متجددة، تماماً كما تفعل اللحظات الأكثر تأويلاً في نص جمالي مخبوء في أبجدية لونية أو فسيفسائية أو حجرية أو موسيقية أو عمرانية أو لغوية أو علمية أو معرفية.

وهذا ما عكسته جدران الكهوف والرقيمات الطينية وأوراق البُردى، إضافة إلى التراث الإنساني المادي واللا مادي، الشفاهي والمكتوب، وذلك في مختلف أنحاء العالم، ومنها سوريتنا الحبيبة التي ما زالت تمنحنا المزيد من الاكتشاف لكينونتها المركزية على هذه الأرض.

قراءة الروح العتيقة

وضمن هذا الأثر الزمكاني، وتراكماته البيانية الأفقية والعمودية، أدرك الإنسان أن فعله في اللحظة الحاضرة يتحول مع مرور الأزمنة إلى تراث محلي وعالمي، ولعله أدرك أنه من الممكن أن يجعل المستقبل تراثاً إنسانياً، أيضاً، فيما لو استشرف كيفية فاعليته الحضارية، واستمرارها في الذاكرة الجمعية الإنسانية.

وبكل يقين، تمتّع الإنسان السوري بهذه الرؤى الحضارية معبّراً عنها بأفعاله وآثاره المادية والمعنوية وبكافة المجالات الإنسانية الراقية أبجديةً وفنوناً وموسيقا علماً ومعرفة، وسورية الوطن الوحيد الذي سيظل قابلاً للاكتشاف لما تفيض به الروح العتيقة بين دمشق وحلب ومختلف المحافظات.

ولأن أي جزء أثري تراثي في هذا الوطن هو مرآة لشمولية المكان وذاكرته وحيويته ضمن علم الحفريات«الأركيولوجيا، فإننا حين نتحدث عن أسواق مدينة حلب القديمة مثل سوق الحرير، نرى أسواق دمشق القديمة مثل سوق الصالحية.

والسؤال: أين تكمن جماليات الأثر وتجولاتها وتحولاتها في سوق الحرير بحلب، كمحطة أخيرة لطريق الحرير القديم الذي يصل الصين بأوروبا من خلال حلب، وذلك منذ اكتشاف صناعة الحرير عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد؟

هيبة مدينة حلب القديمة حاضرة مثل طمأنينتها المسكة بمفاتيح الأبدية، مثبتة للعالم أنها متجذرة هنا مثل كلمة طيبة فرعها في السماء ونورها منتشر في كل مكان من العالم الحالم بزيارتها والتعرف إليها لاكتشاف أسرارها الصامدة والجمالية والخالدة في آن معاً، وهذا ما دفع الصين إلى إطلاق استراتيجية جديدة للتنميةً الاقتصادية المعاصرة، أطلقها رئيس الصين شي جين بينغ عام ٢٠١٣، في إطار عنوان «حزام واحد طريق واحد»، لإعادة إحياء طريق الحرير القديم، تبعاً لمحورين أساسيين أولهما الحزام الاقتصادي لطريق الحرير، وثانيهما طريق الحرير البحري.

حاز جائزة أيكروم الشارقة

وضمن هذه الروح الساحرة، تخطفنا الآثار إلى تأملات ومشاهد وحنين لا يموت معنا حتى وإن متنا، ومنها الأسواق التي ساهمت في ازدهار العالم القديم، وما زالت تساهم في ازدهار العالم المعاصر، والتي بدأت تتألق مع إعادة التأهيل والبناء، ضمن معايير دولية ومنهجية علمية وفنية، يعكسها سوق الحرير الممتد بطول ١٤٠ متراً، موزعاً إلى ٦٠ محلاً تجارياً للأنسجة والمكسرات والحلويات والضيافة والصناعات والمنتجات الحلبية المختلفة، إضافة إلى وجود «خان الحرير» كاستراحة للتجار المحليين والقادمين من شتى أصقاع الأرض، العابرين لطريق الحرير العالمي مع بضائعهم المتنوعة، ليعودوا إلى بلادهم مع بضائع مصدرها حلب، وذكريات جميلة عن ساحة الفستق وسوق السقطية، والقلعة وخان الوزير، والتجار «الحلبية» وأهالي حلب الكرام، يحكونها لأهلهم ومجتمعهم بمحبة وفرح ودهشة.

معايير أثرية جمالية

وعن تلك اللحظة الافتتاحية، أخبرنا د. نظيم عوض المدير العام للآثار والمتاحف في سورية: تم افتتاح سوق الفستق وخان الحرير وسوق الحرير بحضور د. لبانة مشوح وزيرة الثقافة وشخصيات رسمية، وممثلين عن التراث العالمي، وبالتعاون مع محافظة حلب، ومؤسسة الآغا خان للخدمات الثقافية، والأمانة السورية للتنمية. ولقد تمت إعادة البناء بمعايير فنية وجمالية تناسب الحفاظ على موروثنا التراثي الحضاري، ومنه الأقواس الحجرية الأثرية، والبوابة الحديدية، والجدران، والواجهات، وأبواب المحلات الخشبية وترميم مداخلها بطريقة متناغمة مع الماضي العريق والحاضر المنتصر والمستقبل المتفائل.

سوق المجيدية أم الحرير؟

«أحاديث وجع»، بهاتين الكلمتين بدأ د. صخر علبي مدير المتاحف والآثار، رأيه حين قابلته في في الجامع الأموي بحلب، وهو في خضم العمل ومتابعة إعادة التأهيل والبناء، وكم كان متألماً لما حدث لآثارنا وتراثنا المحلي العالمي وتابع: بطاقات أسماء لا علاقة لها بالواقع أحياناً، لكنها قائمة على تسمية أسواق المدينة من باب أنطاكية إلى سوق الزرب، وأطلق اسم سوق الحرير لأن فيه أحد الخانات وهو خان الحرير، ولا أعرف من أسماهُ، لأن اسمه التاريخي «سوق المجيدية» في أوائل القرن العشرين، وهذا ما عرفته من خلال قراءاتي؛ وفي آخره، كان هناك مخفر المجيدية، لكنه بيع وأصبح محلاً تجارياً.

وتساءل: ترى!! من المسؤول عن تسمية هذه البطاقات للأماكن؟ وعلى أي أساس ومعيارية وتوثيقية تتم تسمية الأسواق بشكل عام في حلب، وخاصة الأسواق التاريخية في مدينة حلب القديمة؟

وأضاف: أسماء الأسواق هي، غالباً، لأسماء عثمانية، ومنها اهتمام بعضهم بزراعة معلم ما، مثل مسجد للتبرك، لكنه يتضمن، أيضاً، هدفاً مادياً بحتاً، ما يرفع أسعار المباني المحيطة، ويؤثر في الحركة الاجتماعية والتجارية والاقتصادية بشكلٍ أو بآخر.

تفخر بالخبرات السورية

وتابع د.علبي: هناك أسواق أخرى، منها سوق البهرمية وسوق السقطية، وكان سوق المدينة غير مقبّب أو مغطى، وفيه أقدم الخانات وهو «خان البنادقة»، نسبة لمدينة البندقية الإيطالية؛ وكان للبنادقة ممثليات تجارية في هذا الخان، وأقدمها ممثلية البندقية.

واسترسلَ: حالياً، هذه الأسواق خاضعة لإعادة التأهيل ضمن خطة طموحة، والحكومة السورية تقدم البنى التحتية كاملة، وكل ما يحدث في سوق المجيدية أو خان الحرير نفخر بأنه ينجز بأيادٍ وخبرات ومهارات وعقول سورية.

ذكريات بأبعاد ثلاثية

والملفت أن المهندس المعماري نور خوجة، عضو جمعية العاديات، الذي كان رئيس لجنة السلامة العامة للمنطقة السابعة في المدينة القديمة، وكان رئيس نادي شباب العروبة للآداب والفنون بحلب، لم يجبنا عن تساؤلاتنا عن السوق إلاّ بعدما ذهب بزيارة إلى المدينة القديمة متفحصاً ذكريات المكان وذكرياته منذ كان في الثالثة عشرة من عمره، عام ١٩٥٤، مستعيداً مشاهد من حركة البنية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، مؤكداً: هي تفاصيل حياتية عشتها ويخلو منها أي كتاب، أستعيدها الآن، وتستعيدها معي ساحة القصابين وسوق السقطية والحجارة القديمة!!

وتابع: لحلب القديمة حوالي ٣٧ سوقاً، وكل سوق يسمى بما يتضمنه من بضائع، مثل سوق الحِبال والعطارين والنحاسين وسوق العرائس وسوق الصابون وسوق الغار وسوق الفستق وغيرها، وحلب اشتهرت بصناعتها النسيجية، ولربما يغيب عن البعض أن حلب، إضافة لموقعها على طريق الحرير العالمية، تنتج أقمشة حريرية من صنعها، ولهذا السبب سمي هذا السوق بسوق الحرير.

ولفتَ متابعاً: مر زمن على السوق كان يطلق عليه سوق المجيدية وفي آخره مخفر، وبعد الترميم استعاد اسمه سوق الحرير، وهو يشكّل جزءاً مهماً من نسيج الأسواق القديمة؛ ولقد أعيد كما كان، لكنني لاحظت أن إضافات أبواب المحلات صممت حديثاً، بحيث تتناسب مع قدم السوق؛ كما أن الساحة أمام خان القصابية «خان أبرك» لم يتم سقفها، رغم أن سقفها كان بشكل قباب، لذلك، أتمنى أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار.

وأضاف خوجة: كان هناك أكثر من ٣٠٠ نول نسيجي يدوي، فلماذا لا نجعل من هذا النول رمزاً لذلك الزمان؟! مثلاً- أن نخصص له، ولأدوات هذه الحرفة، مكاناً يكون بمثابة متحف صغير في السوق، فنعيد الحياة لذاك الزمان ورموزه ويومياته كقيمة تأريخية وجمالية وفنية.

ورأى المهندس خوجة أنه لا يكفي أن نرقم الحجر للمحافظة على التراث، بل أن نضيف لوحة مختصرة لغوية وفنية تسرد حياة هذا المكان، إضافة إلى من قام بترميمه من المشرفين والمهندسين والبنّائين، وذلك إلى جانب تخصيص ركن لأدوات التراث المادي.

واختتم خوجة: أتمنى أن أكون قد أديت بعض حق هذه المدينة عليّ، شاكراً جميع من ساهم في إعادة الحياة لهذه الأماكن التراثية من جهات ومسؤولين وفنيين ويد عاملة، لأن الحفاظ على التراث العمراني مهم للحفاظ على تاريخ المدينة للأجيال القادمة.

الممر السوري العظيم

وهناك في قلعة حلب الصامدة المنتصرة عبِّر الأزمنة، التقيت الباحث أحمد الغريب، مدير قلعة حلب، فأخبرنا عن أهمية خاتمة طريق الحرير، قائلاً: لا شك، تميزت مدينة حلب التجارية عبر التاريخ بموقعها الاستراتيجي المهم كبوابة عبور للحضارات من الشمال ونشاط أهلها وولعهم بالتجارة، فضلاً عن مركزية حلب كقطب رحى لطريق الحرير والممر السوري العظيم، وهذه الخصوصية لحلب أفرزت العديد من الأسواق التي تعود بجذورها التاريخية إلى العهد الهلنستي، فتمددت وتفرعت لتتربع في قلب المدينة القديمة.

وأضاف: من الأسواق المهمة سوق الحرير، أو كما يسميه أهل حلب سوق المجيدية، والذي يعود بتاريخه إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. ويقع السوق جنوبي الجامع الأموي، وضمن النسيج العمراني التاريخي للأسواق في حلب.

هندسة المخيلة الفنية

وتابع الغريب: جرت العادة بأسواق حلب أن يسمى السوق بحسب المنتج، وسوق الحرير اختص ببيع الحرير والأقمشة والمنسوجات. ويتألف السوق من صفين متقابلين من الحوانيت بينهما ممر واسع، وأقبيت سقوف المحلات بشكل مغموس، وتشابهت واجهات المحلات من حيث قناطر مداخلها وطبيعة بنائها. ولقد عاد هذا السوق مجدداً إلى وظيفته الحضارية التي اعتاد عليها أهل حلب، وسيبقى لهذا السوق وقع في الذاكرة لما يتمتع به من جماليات مكانية، ومن أهمية تجارية واجتماعية واستراتيجية وقيم حضارية.

المخططات الأثرية تراث أيضاً

وأثناء تجوالي في السوق، لمحت ثلاثة شبان يزورون المكان، فتعرفت إليهم وكانوا طلاباً جامعيين: عبد العزيز فلاحة - طالب هندسة عمارة بجامعة الاتحاد الخاصة، وصديقاه نور كحيل ورياض بستاني من طلاب طب الأسنان، وأكدوا لي بأنهم سعداء لأنهم يرون المدينة تعود إلى ألقها بعد االتدمير الإرهابي، وفي الوقت ذاته، يشعرون بالحزن لما حدث للبشر والحجر، لدرجة أنهم أخبروني أن الحجارة القديمة لها ميزاتها كما الأبواب الخشبية التي كانت هنا، لأن عمر خشبها مئات السنين.

وأضافوا: نأمل من أصحاب المحلات أن تتناسب فنيات وألوان إعادة ترتيبها الداخلي مع إعادة الإعمار التراثية.

ولفتَ الطالب فلاحة إلى أن إعادة إعمار حلب القديمة جميلة، لكننا نتمنى أن توجد مخططاتنا الأثرية لدى الجهات المختصة لكي ندرسها، ونستطيع بناءها كما كانت، لأنها تستحق كل جهد منا نحن الجيل الشاب لأنها التاريخ والحضارة.

المحاربون الجدد.. في فن الطفولة السورية



"البعث الأسبوعية"
ـ رامز حاج حسين

من أجدى وأنجع حلول النجاح أن تحيط نفسك بالناجحين، وفي مجال الرسم لقصص الأطفال في سورية فإني أُعتبر من المحظوظين لكثرة رفاق الدرب الناجحين، كل لوحة تقع عليها عيني من توقيع أحد الفنانين السوريين - شبابا وصبايا - في مجال تزيين كتب الأطفال تشعرني بالغبطة والحبور، فلي مع معظمهم- إن لم يكن كلهم- شراكة لحظات وجدانية وعملية في هذا الدرب.

الورثة الجدد لهذا الفن الجميل على أهبة الاستعداد، وفي أتم حالات القدرة على خوض غمار التجربة حتى نهايتها لتسطير أسمائهم في التاريخ كفريق عاش على هذه الأرض النبيلة، وساهم في رفع بنيان أهم الحلقات الجليلة في سلسلتها الحضارية، ألا وهي حلقة فن اللوحات الموجهة للأطفال، ونجاحهم في هذا المفصل يعتبر نجاحا للتجربة السورية بشكل عام

ما ينقص - كما نردد مراراً وتكراراً - هو وجود الحاضنة الجماعية الوطنية لهذه المواهب الفذة والطاقات النبيلة، فهناك من يتوج، وهناك من يصدر له لوحة هنا وكتاب مزين برسومه هناك.

مجرد التفاعل على وسائل التواصل الاجتماعي لا يغني - على أهميته - ولا يجعل هذه المواهب في رضا تام عن تبني خطوات عملية أشد قوة وأكثر فاعلية لتطوير فن اللوحة الطفولية في سورية.

أشعر في هذه الآونة أن المناخ العام للإبداع السوري ينجب في كل يوم من كل بيت أو حارة في جغرافية الوطنِ فنانا أو فنانة مبدع، ما يشكل جيشاً فنياً سورياً صرفاً من هذه المواهب القادرة - إن تأمّنت لها الأقنية المناسبة - أن تنتج كماً مهولاً من ملحقات ثقافة الطفل — من رسوم للكتب والمجلات - والمعارض وورش العمل — مسلسلات وأفلام الرسوم المتحركة.

وجب التنويه والتذكير بأن تلك الطاقات جلّها يصب مواهبه لدى دور النشر والمجلات والمنابر خارج حدود سورية، مع العلم أنني لم أجرب التواصل مع أحد منهم للعمل في مجلاتنا المحلية إلا وبادر بكل الحب للعمل، وبدون أدنى اعتراض أو تململ من الأجر المالي: الكل يجمع على حب العمل لصالح أطفالنا لأنهم أبناء لنا وأخوة وأولاد جيران بالنهاية، وهذا لسان حالهم لا حالي أنا.

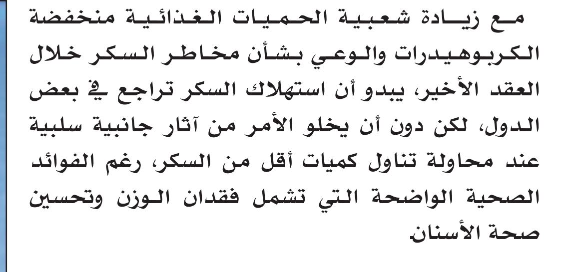
في تجربة تجميع العناصر العاملة لإنتاج مجلة سورية، وإشرافي الفني عليها لعدة سنوات بمختلف المشارب الفنية، تعلمت من رفاقي فناني الأطفال العديد من النقاط التي تزين قاماتهم النبيلة، ومنها - للذكر لا للحصر - أن العمل الإبداعي يعبر عن صاحبه، فيجب أن يكون بأبهى حلة، لا استسهال فيه مهما كانت العقبات والظروف المحيطة به، وهذا ما أرجعني بالذاكرة لسيرة الرعيل الأول المؤسس لمنظومة اللوحة السورية، ومجلة "أسامة" على وجه الخصوص. كنت أجد وأتلمس نوعاً من التحدي على إبراز الأفضل لدى كل الفنانين الأوائل، فكل غلاف يباري الآخر، وكل لوحة لقصة تنافس قرينتها، وجو التنافس والسباق يسود، لينتصر الطفل السوري، وذائقته البصرية، بأعمال ترفع لها القبعة ويتشرف بها التاريخ نفسه.

من تلك النقاط أيضاً كان توريث الحب داخل اللوحة، فالإغراق في فهم النص والغوص في منمنمات الحالة البصرية هاجس كل الفنانين الذين أتعامل معهم، فلم أجد أحداً منهم أبداً يستسهل يوماً نصاً يقع بين يديه؛ بل على العكس، لطالما تم نقاش طويل وجاد حول جدية النصوص المقدمة من عدمها، ومن كون النص جيدا أم مستسهلا وسطحيا؛ وفي كثير من الأحيان تم نقاش كاتب النص لأجل تطوير العمل للأفضل وبرضا الأطراف كلها، وهذه الحالة إن لم تنبع من أمانة الفنان وحرصه على كينونة العمل الجيد، فما منبعها غير ذاك؟!

لوحة المارد الأزرق والبنفسجي في باكورات الأغلفة المقدمة لمجلة "أسامة" ترك الراحل نذير نبعة لنا أثراً إبداعياً خالداً، عنصراً تشويقياً جاذباً، لم أعرف كنهه حتى هذه اللحظات، فعداك عن التشريح الممتاز والتكوين الرائع لعناصر اللوحة - وهذا من بديهيات فنان كبير كـ "نبعة" - هناك سر ما في ذاك الغلاف، أودعه الفنان نذير في العيون لشخصياته، وفي ضربات ريشة التعبير في تمايز وتكامل الألوان ودرجاتها المتفاوتة: خلطة أشبه بعطارة عالية الكعب مزجت أصنافاً متنافرة من السواد للبياض لتعطي هذا الأثر الرفيع لسحر الخلطة. شيء لا يمكن إدراكه بالتأطير النقدي ولا بفلسفة تحليل اللوحات.

شيء يمكن إدراكه فقط حين تأمل اللوحة، يعطي أثره النفّاذ بين المتلقي وذاك السر النبيل الذي أودعه نذير نبعة لحظة رسم المارد الأزرق. أثر يشبه أثر التنهيدة الحميمة لروح العاشق وهو يتأمل محبوبه!!

معركة من نوع آخر.. ما الذي يحدث للدماغ عند تقليل استهلاك السكر؟



مع زيادة شعبية الحميات الغذائية منخفضة الكربوهيدرات والوعي بشأن مخاطر السكر خلال العقد الأخير، يبدو أن استهلاك السكر تراجع في بعض الدول، لكن دون أن يخلو الأمر من آثار جانبية سلبية عند محاولة تناول كميات أقل من السكر، رغم الفوائد الصحية الواضحة التي تشمل فقدان الوزن وتحسين صحة الأسنان.



أعراض تقليل استهلاك السكر

وتشمل تلك الأعراض الصداع، والإرهاق، والتقلبات المزاجية التي تكون مؤقتةً عادةً.

والسبب في تلك الآثار الجانبية ليس مفهوماً حتى الآن بشكل كامل، ولكن المرجح هو أن تلك الأعراض ترتبط بطريقةٍ تفاعل الدماغ عند تعرضه لأطعمةٍ سكرية - ومفهوم "المكافأة" البيولوجية.

تأتي الكربوهيدرات في العديد من الأشكال - مثل السكر في العديد من الأطعمة والفركتوز في الفواكه واللاكتوز في الحليب، إلى جانب السكروز (سكر المائدة) الذي يضاف إلى مختلف الأطعمة لجعل مذاقها مقبولاً أكثر.

وبعيداً عن الطعم المُحسّن، فإن للسكر تأثيرات بيولوجية كبيرة على الدماغ. وهذه التأثيرات كبيرةٌ لدرجة أنّها أثارت نقاشاً حول إمكانية "إدمان" السكر.

كيف يعمل السكر داخل الدماغ؟

يعمل السكر على تنشيط مستقبلات الطعم الحلو في الفم، مما يؤدي في النهاية إلى إفراز مادة تُدعى الدوبامين في الدماغ.

والدوبامين هو ناقلٌ عصبي ينقل الرسائل بين الأعصاب في الدماغ، وحين نواجه محفزات تُعتبر مكافأة؛ يستجيب الدماغ بإفراز الدوبامين.

وتتجلّى آثار المكافأة الخاصة بالدوبامين داخل جزء الدماغ المسؤول عن المتعة والمكافأة.

وهذه المكافأة تحكم سلوكنا - مما يعني أنّنا نميل إلى تكرار نفس السلوكيات التي تتسبّب في تحرير الدوبامين. لذا يمكن للدوبامين أن يدفعنا للبحث عن طعامٍ بعينه، مثل المأكولات السريعة.

وقد أظهرت التجارب على البشر والحيوانات إلى أي مدى يبرع السكر في تنشيط مسارات المكافأة داخل الدماغ؛ إذ إنّ الحلاوة الشديدة تتفوّق حتى على الكوكايين من ناحية إثارة نظام المكافأة الداخلي.

ويمكن للسكر تنشيط مسارات المكافأة تلك داخل الدماغ سواءً عند تناوله عبر الفم أو عند حقنه في مجرى الدم، بحسب ما أظهرته الدراسات على الفئران، مما يعني أنّ آثاره ليست لها علاقةٌ بطعمه الحلو.

مراحل تقليل استهلاك السكر

مرحلة أعراض انسحاب السكر

وبسبب هذا التأثير، دوّن العلماء الأعراض الجسدية والعقلية خلال مرحلة "انسحاب السكر"، نذكر منها الاكتئاب والقلق والضبابية واشتهاء الطعام والصداع والإرهاق والدوار.

وتعكس جميع هذه المشاعر أنّ التخلي عن السكر يمنح شعوراً غير مستحب، على الناحيتين العقلية والجسدية، وبالتالي يزيد ذلك صعوبة الالتزام بهذا التغيير في النظام الغذائي.

وكما هو الحال مع أي تغيير في النظام الغذائي، فإنّ الالتزام بالنظام هو أهم عوامل نجاحه.

كيف يتفاعل الجسم بعد تقليل استهلاك السكر؟

بعد ساعة من التوقف

بعد ساعة من الامتناع عن تناول السكر، تشعر بتحسُّن وينبغي حينئذ أن تشعر بالحيوية وأن تكون أكثر إنتاجية. ستكون أقل عُرضةً للشعور بالرغبة في تناول الحلويات أو الوجبات الخفيفة المحلاة.

بعد يوم من التوقف

إنّ "تناوُل السكريات يحد من رغبتنا - وقدرتنا على - تناول الأطعمة الغنية بالمغذيات، بما في ذلك الدهون الصحية والبروتينات والكثير من الألياف، التي تبقينا في صحة ونشاط وإنتاجية".

لذا فبعد قضاء يوم كامل بدون سكر، نأمل أن تكون أدرجت الكثير من تلك البدائل الصحية في نظامك الغذائي.

وبعدما تتوقف عن السكر وتتناول كميةً أكبر من الخضراوات والبروتين الخالي من الدهون، سوف يستقر مستوى السكر في دمك، وتهدأ تقلباتك المزاجية، وتقل نوبات رغبتك الشديدة في تناول السكريات.

بعد ٣ أيام من التوقف

هنا تبدأ الأمور في اتخاذ منعطف غير سار؛ فتناول السكر يُعَد إدماناً رغم كل شيء، ولا يمكنك التخلص من معظم الإدمانات دون التعرض لأعراض الانسحاب.

لذا بعد بضعة أيام من التوقف، قد تشعر بالحنين الشديد إلى تناول السكر، والقلق، وحتى الاكتئاب في الحالات الأخطر.

وغالباً ما تتلاشى هذه الآثار بعد الأسبوع الأول، لكنّها قد تستمر أسبوعاً أو أسبوعين إضافيين، حسب مستوى إدمان السكر في الجسم.

بعد أسبوع من التوقف

يمكن أن يحدُث شيءٌ من اثنين لجسمك:

فإذا كان نمط حياتك السابق مليئاً بالأطعمة المصنعة والعصائر والمشروبات الغازية والحلويات، ستكون ما زلت في وضع التخلص من السموم.

أمّا إذا كانت كمية السكر التي كنت تتناولها معتدلةً (وإذا كنت تلتزم بنظام غذائي يحتوي على البروتين والألياف والدهون الصحية)، فمن المُرجّح أن تبدأ في الإحساس بشعورٍ جيد للغاية.

بعد شهر من التوقف

بعد شهرٍ واحد من الامتناع عن تناول السكر، ستتعافى تماماً. وتختفي رغبتك في الحلوى، وستجد نفسك تشتهي البروتين والخضراوات الورقية بشدة.

وأخيراً، بعد عام من التوقف

حالما تلتزم بحياةٍ خالية من السكر عاماً كاملاً، ستكون صحتك قد تحسنت على الأرجح. وسيعتاد جسمك تأدية وظائفه بحصوله على العناصر الغذائية الأساسية، ولأنه لم يعد يحتوي على سكر يُخزّنه في صورة دهون، فمن المحتمل أن يقل وزنك.

لذا، لا بد من التنويه إلى أن إخراج السكر من نظامك الغذائي على المدى الطويل، يعني ضرورة اجتياز الأسابيع الصعبة الأولى بنجاح، ومن المهم أن نعترف أيضاً بأنّ السكر ليس "سيئاً" في حد ذاته- بل يجب تناوله باعتدال.

أنت مصاب بـ «الرهاب الاجتماعي» كيف تتعامل معه؟

يتجاوز الرهاب الاجتماعي أو اضطراب القلق الاجتماعي كونه مجرد خجلٍ أو انطواءٍ على الذات، بل يتمثل في الخوف الشديد من التفاعل الاجتماعي والتصادم مع الحياة اليومية. وتبدأ الأعراض عادةً في سن الـ ١٣، وتستمر حتى سن البلوغ، ووفقاً للجمعية الأميركية لأمراض القلق والاكتئاب، فإن معظم الأشخاص الذين يعانون من الرهاب الاجتماعي ينتظرون على الأقل ١٠ سنوات حتى يحصلوا على المساعدة.

وإذا كنت تظن أنك تعاني من الرهاب الاجتماعي أو تشك في معاناة شخص تعرفه منه، فإليك بعض العلامات الأكثر شيوعاً:

- يتخيلون مواقف يشعرون فيها بالإحراج

يتصور المصابون بالرهاب الاجتماعي سيناريوهات محرجة وفظيعة، سواء كانوا على وشك لقاءٍ شخص جديد أو المشاركة في لقاء اجتماعي. يشعرون دائماً بالقلق حول قول أو فعل شيء خاطئ، ويتخيلون أن أفعالهم تسبب الذعر للآخرين.

- يتجنبون الأوضاع التي يُحكم عليهم فيها

يتسبب الرهاب الاجتماعي في التفكير بأشياء مثل «سيفكر الآخرون أنني أحمق»، أو «سأفشل وسيعتقد الجميع أنني فاشل»، فالخوف الشديد من الرفض يتسبب في ابتعادهم عن المواقف الاجتماعية غير مؤكدة المصير قدر الإمكان.

- يشعرون بالراحة مع قلة قليلة من الناس

يرتاحون فقط مع أشخاصٍ معينين، مثل الصديق الأقرب أو الوالدين أو الإخوة، فالتفاعل مع الآخرين يمكن أن يؤدي إلى ارتفاع خطير في مستوى الخوف والقلق.

وأحياناً تخفف مصاحبة شخص يشعرون بالأمان معه مشاعر القلق والخوف.

- يقلقون من استشعار خوفهم

يشعر المصابون بالرهاب الاجتماعي بالقلق حول ملاحظة الآخرين لوضعهم، سواء أكانوا يتحدثون في اجتماع أو يحاولون القيام بحديث عابر مع المعارف.

وهم يميلون للمعاناة من أعراض جسدية مثل احمرار الوجه أو تعرق راحة اليد أو ارتعاشها أو ضيق في التنفس، وهم على يقين دائماً بأن الجميع يلاحظون توترهم.

- يخافون من تجارب محددة

يقتصر الرهاب الاجتماعي عند بعض الأشخاص على الخوف من الحديث العام أمام الآخرين، أما البعض الآخر فقد يعاني من الخوف والرهبة من أشياء مثل الكتابة أمام الآخرين أو تناول الطعام في الأماكن العامة، وبعضهم يقلق من استخدام الهاتف.

- ينتقدون مهاراتهم الاجتماعية

يتسبب الرهاب الاجتماعي في قضاء الكثير من الوقت في تحليل تفاعلاتهم الاجتماعية يكررون الأحاديث داخل عقولهم مرة بعد مرة للتدقيق فيها حتى المبالغة في عيوبهم والحكم على أنفسهم بقسوة.

- غالباً ما تصبح أفكارهم نبوءات

تتحول الأفكار السلبية في كثير من الأحيان إلى نبوءات تتحقق من تلقاء نفسها.

فإذا كان الشخص يفكر بأن «الناس يعتقدون دائماً أنني شخص غريب الطباع»، سيثني هذا الانطواء الآخرين عن الحديث معه ما يعزز لديه الشعور بأنه غريب.

كيفية الحصول على المساعدة

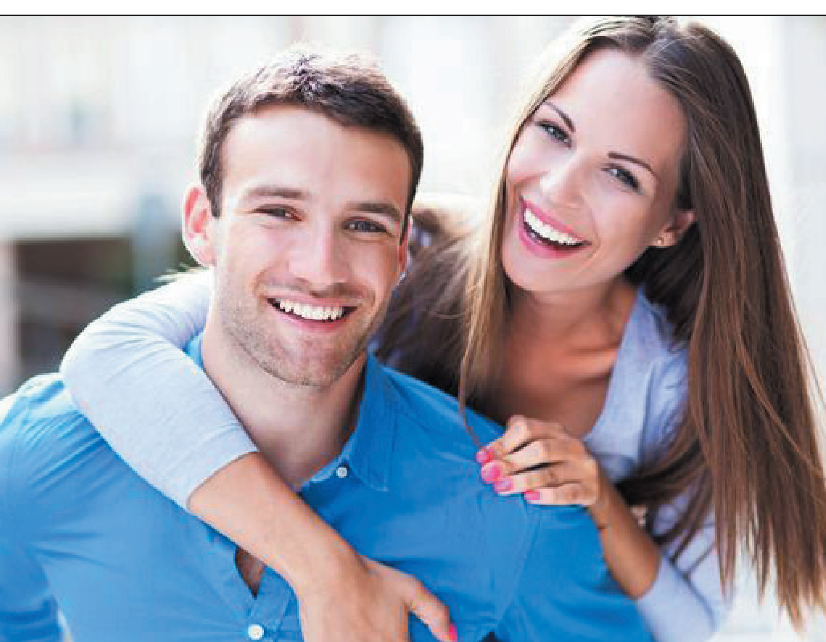
إذا كنت تعتقد أنك تعاني من الرهاب الاجتماعي، تحدث إلى طبيبك. يمكن للطبيب أن يستبعد الأسباب الطبية المسببة لتلك الأعراض، ويمكن أن يحولك لتلقي العلاج النفسي المناسب إذا لزم الأمر.

متى يصبح القلق الاجتماعي مشكلة؟

من الطبيعي أن تشعر بالقلق في المواقف الاجتماعية من وقت لآخر. وعلى سبيل المثال، يشعر الكثير من الناس بالقلق في مقابلات العمل أو عند الاضطرار إلى إلقاء خطاب رسمي.

ويمكن أن يكون القلق الاجتماعي مشكلة عندما يصبح شديداً جداً أو يكثر حدوثه. وفي هذه الحالة يسبب القلق الاجتماعي ضائقة كبيرة ويؤثر على العديد من جوانب حياة الشخص.

الإفراط في الحب والعطاء.. حين يدمر الإنسان نفسه بنفسه!





من أكبر أنواع الأذى الذي يؤذي بِها الإنسان نفسه هو أذى الإفراط في المعاملات، في المشاعر، في العطاء، في الثقة، في الحُب، في التوقعات، في الأموال، في الأحلام أياً كان، مُعظم المصائب والأحزان قد تأتي للإنسان من إفراطه في الحياة مع الآخرين.

فعندما يتعلق الشخص منّا بأحد وَيُحبّهُ، يبذل لهُ كُلّ ما بداخله من مَشَاعر طيبة وأفعَال حميدة، فقد يرصف لَهُ الأرضَ بالَحنانِ والعطاء الوفير، والرأفة والشفقة الزائدة، والإخلاص والصدق الداخلي، والارتباط والتعلق المُتشعب جذوره.

إلى أن أدمنا هذا الشخص، ولا يمكننا التخلي عنهُ غير عند الموت أو أكبر الصدمات المؤلمة منهُ، لشدة الارتباط والتعلُق به ودافعه الإفراط، وقد نُنهك وَنُحَمّل أنفُسَنَا فوق طاقتِها من أجله، ويؤذينا بالكلَمات مرة وبالأفعال الأُخرى، ونتغَافل ونتجاهل، ويكسرنا بالابتعاد لفترة وعدم رغبة الاقتراب والحديث بأكثر من فترة، ونلجأ إليه ونسأل عنهُ من شدة الحُب الذي بداخلِنا لهُ؛ فيتصنع بأعذار وحجج ليس لها وجود، وإننا لنعلم ذلك، ولكننا نتقبّل الأعذار الواهية، وكأن لم يجر شيء.

فقد أصبحنا فريسة لهُ عن دما يُريد الطعام منها يذهب؛ كي يأكل، وعندما يكتفي يَنّفِر ويبتعد، فيُلقيها إلى أن يشعر بالجوع مرة أخرى؛ ثم يعود إليها، وهكذا يتكرر السيناريو المؤلم في كُلِّ فترةٍ لدافع الإفراط في المشاعر، ومنح القيمة غير المُناسبة لهذا الشخص .

وقد نتعامل مع أحد الأشخاص فترة من الزمن، إلى تُصبح علاقة صداقة متوطدة مع مرّ الأيام والزمان، ثم نثق بعدها في هذا الشخص لدرجة كبيرة للغاية، فنبوح لهُ بجميع أسرارِنا، وَمُجْمَل أحزاننا، وأغلب أوجاعنا، والكثير من أحلامنا، فنتحدث معهُ بكُلّ هذا، بل وأكثر من الأسرار والأقوال قد يكون وصل الحديث معهُ عن أسوأ أفعالنا وأجل ذنوبنا، وإننا لم نتوقع، أو نفكر، أو نظُن للحظة أن هذا الشخص قد يُهدر ما كان بيننا من أسرار، أو أفعال، أو أقوال مهما ساءت الأمور، ولكن يأتي اليوم الذي تشتد فيهِ الخلافات، أو دون خلافات عند البعض، وتجدَ الأسرار خَرَجَت، والأقوال انتشرت، ونقاط الضعف قد تفشت، وأسوأ الأفعال نُقل، والعهُود تدنست، وكُل ذلك يعود للإفراط في الثقة، أو الثقة الزائدة.

وقد يفرط الإنسان في عطائه مع الآخرين في الأشياء، إلى أن يستغل من جميع من حوله، ويصبح مخبأ لكُل مُستغل ومحتاج، وذلك لأنهُ أفرطَ في العطاء.

فلا تؤذ نفسك بإفراطك في الحياة؛ لأنك ستعود يوماً وتقول: يا ليت، ولكنك قد تكون أنهكْت روحك، وبددت جسدك بدافع إفراطك في الحياة، إنك لست أقل شأناً من أحد؛ كي تعطي ولا تأخذ، فمَنْ أكْرمَ أُكرِم، ومَنْ امتنعَ اقتصد.

من المهم التواصل المبكر..

كيف نجيب على أسئلة أطفالنا حول التحرش؟

قد تكون شاهدتَ أو قرأتَ القصصَ المؤلمة التي نُشرت على شبكات التواصل الاجتماعي حول التواصل الاجتماعي؛ وحتى لو كان الأبناء أصغر من أن يتابعوا إنستغرام، فمن المحتمل أنهم قد شاهدوا أو قرأوا تعليقات غير لائقة، أو لربما سمعوها موجهةً لهم ورغم أن القصص التي نسمعها مقلقة، فإنّ الجانب الإيجابي هو أن الجميع يتحدثون عنها الآن، وهي توفر للآباء فرصةً لا تُقدر بثمن لمناقشة القضية مع أطفالهم لتوعيتهم؛ ويرغب العديد من الآباء في التحدث إلى أبنائهم، لكنّهم قلقون من أن يقوموا بذلك بأسلوب خطأ، أو أنهم لا يعرفون بالضبط ماذا سيقولون، لذلك ينتهي بهم الأمر بعدم قول أي شيء.

وفي حين أننا قد لا نكون قادرين دائماً على حماية أطفالنا تماماً من قضايا التحرش والاعتداء، فإننا يمكننا مساعدتهم على تطوير أدوات للتعامل مع التحرش أو الإساءة التي قد يواجهونها في المدرسة أو الطريق أو حتى في المنزل.

– عليك قبل كل شيء أن تتواصل مبكراً مع أبنائك، وتذكّر أنه لم يفُت الأوان أبداً لبدء الحديث! الحديث عن الجسد والعلاقات والاعتداءات يسمح للآباء بالتعبير عن قيمهم وتقديم المعلومات للأطفال.

كما أنه يضع الأساس للمهارات اللازمة للتعامل في جميع الظروف الشائعة للتحرش والاعتداء.

– عليك إظهار أنك منفتح على أسئلتهم، وراغب في إجراء محادثات حول هذه الموضوعات الصعبة سيجعلهم يشعرون براحة أكبر في التحدث معك إذا رأوا أو تعرضوا للإساءة الآن أو في المستقبل.

إذا كان لدى الأبناء الكثير من الأسئلة

إذا سَمِعَ أبناؤك خبراً ما، أو وجّهوا لك سؤالاً عن حادثة ما، اسألهم عن مدى معرفتهم بالأخبار، وما هي الأسئلة التي لديهم عنها، وأجبهم بصدق.

يمكنك أيضاً توسيع نطاق المحادثة لإعطائهم استراتيجيات لما يجب أن يفعلوه إذا قام شخص ما بمضايقتهم أو مضايقة صديق لهم إذا كان هناك شخص ما يزعجهم بقولٍ أو فعل في المدرسة أو في الأماكن العامة، فيمكنهم أن يقولوا "ابتعد أو توقف عن هذا، لا أريد ذلك"، ثم عليهم أن يغادروا فوراً.

وإذا كانوا يتعرّضون للمضايقة من شخص أكبر سناً أو في مجموعة، فيجب عليهم الوصول إلى مكانٍ آمن والتحدث مع شخصٍ ما ليساعدهم.

علِّمهم دائماً أن يثقوا في حدسهم، وأن يغادروا عندما يشعرون أن هناك شيئاً ما يضايقهم

حين يريد الأطفال معرفة المزيد

قد يكون من الجيد إعطاء بعض التفاصيل في مثل هذه الحالة، فإذا جاء الأطفال ليعرفوا أكثر حول حملة "Me Too" فيمكنك أن تقول مثلاً إن رجلاً قوياً في صناعة الأفلام قد تم طرده من عمله لأنه عامل النساء بشكل سيئ للغاية، ولمسهنّ بطريقة مزعجة، وقال لهن أشياء فظة، وكل ذلك يعتبر سلوكاً غير مقبول في أي حالة، والآن تدعم النساء في جميع أنحاء العالم بعضهن البعض من خلال مشاركة قصصهن.

– استخدم اللغة المناسبة من أجل طرح مفهوم التحرش دون إخافة طفلك، حيث يمكنك أن تقول مثلاً أن "معظم الرجال والأولاد لطيفون حقاً ورائعون لتكوين صداقات معهم، ولكن هناك القليل ممن يقومون بالتحدث بطريقة غير لائقة ومزعجة، وفي بعض الأحيان قد يلمسون الآخرين بدون إذن، إذا رأيت هذا في أي وقت، أو إذا حدث لك هذا، أريدك أن تعرف أنه يجب أن تأتي للتحدث معي بشأنه".

– استغل الدروس الواقعية، فعندما ترى شخصاً لا يحترم امرأة أو يقوم بمضايقة شخص آخر، سواء في الأفلام أو على التلفزيون أو في الحياة الواقعية، استخدمه كنقطة انطلاق لمحادثة مع أبنائك وبناتك. واشرح لهم أن هذه ليست الطريقة التي نتعامل بها مع النساء أو مع الأشخاص الآخرين.

إذا كان طفلك صغيراً جداً

– تحدّث مع طفلك بشكل عام عن الحدود، بالنسبة إلى الفتيات الصغيرات ليست هناك حاجة لطرح أخبار لا تستطيع فهمها، لكن يجب أن تبدأ في الحديث عن اللمس الجيد واللمس السيئ بمجرد أن يفهموه حتى في سن الخامسة أو السادسة ربما يكون طفلك قد سمع شخصاً ما، ويمكنك أن تخبر طفلك أنه ليس من المقبول أبداً أن يتحدث شخص ما عن جسدك أو يلمسك بدون إذنك.

– كن أنموذجاً للسلوك الجيد في المنزل، إذ يلتقط الأطفال من مشاهدة سلوكنا أكثر من الاستماع لما نقول لهم لذلك، في أي وقت يسمع فيه أطفالك أنك تشير إلى شخص ما على أنه "مثير"، أو يسمعون تعليق أحد أفراد الأسرة على جسد المرأة، فإنهم سيعتقدون أن هذا سلوك مقبول: لم يولد أي شخص متحرشاً، إنه مجرد أنموذج لسلوك رأوه لأشخاص آخرين يفعلونه.

تنمية مهارات الوعي

يمكنك بناء التعاطف والوعي الاجتماعي من خلال تشجيع طفلك على التفكير والاهتمام بكيفية تأثير أفعالهم على شعور الآخرين. شارك مع طفلك قيمك وتوقعك أنه يحترم حدود الآخرين، ويتوقف عن أي سلوك يجعل شخصاً آخر غير مرتاح، فهذا يساعد طفلك على تطوير الوعي الذاتي والاعتراف بمشاعره الخاصة، ما يزيد من قدرته على تقييم الموقف وتحديد الإجراءات التي يمكنه اتخاذها بأمان.

بعض الاستجابات الأنموذجية

إذن كيف تبني هذه المهارات مع أطفالك عندما تكون لديك ١٥ دقيقة فقط في طريقك إلى المدرسة، أو ٥ دقائق على طاولة العشاء، قبل أن يبدأ طفلك واجباته المدرسية.

بإمكانك أن تقول لطفلك عند رؤية أو سماع موقف عن التحرش والمضايقة: "في عائلتنا نعتقد أنه ليس من المقبول أبداً لمس جسد شخص ما، لا أريد أبداً أن يلمسك شخص ما بطريقة تجعلك غير مرتاح، وأتوقع ألا تلمس شخصاً ما بطريقة تجعله غير مرتاح".

يمكنك مثلاً أن تتحدث مع أبنائك وتثبّت في عقولهم قيماً مثل: "كيف كان يمكن أن يشعر ذلك الشخص عندما تم لمسه؟"، "كيف كان شعورك في هذا الموقف؟"، "كيف سيكون شعورك لو تعرضت أنت لهذا الموقف؟"، "هل تعتقد أنه من السّوي أن نقوم بذلك تجاه الآخرين؟".

كما يمكنك أن تضعِ أبناءك أيضاً في صيغة "ماذا لو؟"، فمثلاً إذا رأيت صديقاً يفعل هذا أو يقول هذا، فما الكلمات التي قد تستخدمها لتطلب منه التوقف؟ كيف تُذكّر نفسك بعدم الانخراط في هذا النوع من "النكات"؟ وماذا ستفعل إذا لمسك أحدهم بطريقة تجعلك غير مرتاح، وقال إنها مزحة؟

كلمات متقاطعة

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11
1									■		
2						■					
3					■						
4					■					■	
5			■								■
6				■			■		■		
7	■	■								■	
8				■						■	
9							■				
10						■		■			
11				■							

أفقي:

١- المادة الرئيسية في لب الخشب وجدران الكلية – علامة موسيقية
٢- حسن السلوك في المجتمع – إجبار وإرغام على الشيء
٣- حفلة العرس – المهنة /م/
٤- أسور البناء /م/ – رتبة عسكرية
٥- حرف عطف – من أعظم أدباء فرنسا/م/
٦- بدن – سقاية /م/ حشرات ضارة
٧- علم يبحث عن طرق قياس الخطوط والسطوح والأجسام
٨ – فردوس- نصبر على الصعاب
٩- الممنوع أو عكس (المحلل)- أب /م/
١٠- كفلها /م/- وزن
١١- حكى وسرد- نادي كرة قدم سوري

عمودي:

١- أحد علماء النحو والأدب في القرن الرابع الهجري- ظالم
٢- مؤرخ روماني شهير يعود إليه الفضل بتسجيل معظم معالم التاريخ الروماني- نلعب ونمرح
٣- مروض الحيوانات- دخل علينا فجأة
٤- (القفل) مبعثرة- سخن الماء
٥- ضمير منفصل /م/- ممثل كوميدي سوري
٦- ممثلة مصرية راحلة
٧- عكس (رفضن)- في البيضة- خاصتك
٨- ملحن مصري راحل لحن العديد من أغنيات (أم كلثوم)
٩- أحسنت الاستقبال- أُتوجهُ /م/
١٠- حرف أبجدي- شتم- ذكر الأفعى
١١- الأراضي المنخفضة- استراحة قصيرة في منتصف النهار

الحل السابق

أفقي:

١- إدوارد سعيد.
٢- فاليتا – أول.
٣- لوكربي – أم
٤- (اا) – ورقاء
٥- طن – نا – فتل.
٦- ورد – لي – رمان
٧- نسناس – سانيو
٨- ياسر العظمة
٩- حسن يوسف – لو /م/
١٠- أروي/م/ – جمال
١١- طراد /م/ – الهند

عمودي:

١- أفلاطون – حمد
٢- وأد /م/ – نرسيس
٣-(و ل ك ا) – دنانير
٤- إيران – أسيوط
٥- رتب – السرور
٦- دايو – أسى
٧- رف – سلف
٨- اقتراع – جل
٩- يا – المنظومة
١٠- دواء – (ا ي م ل ا ن)
١١- لم – عنوةً – لد

الكلمة المفقودة

أبيت أرمد مالم أكتحل بكم
وفي اكتحالي بكم شاف من الرمد
رقت لكم كبدي حتى لو أنكم
تهوون ألا أريد العيش لم أرد

كأن قلبي إذا ذكراكم عرضت
من سحر هاروت أو ماروت في عقد
ماهبت الريح من تلقاء

ا	م	ا	ل	م	ش	ا	ف	ق	أ	ت	ب
ك	ا	ل	ر	م	د	ذ	س	ل	ك	هـ	ك
ت	ا	ع	ر	ض	ت	ك	ح	ب	ت	و	م
ح	ل	هـ	ع	ق	د	ر	ر	ي	ح	و	أ
ا	ع	ا	ت	ا	م	ا	م	أ	ل	ن	ر
ل	ي	ر	ل	ل	ا	ك	ا	و	إ	أ	د
ي	ش	و	ق	ر	هـ	م	ر	ك	ذ	ر	أ
ل	ج	ت	ا	ي	ب	ي	و	ب	ا	ي	ب
و	ك	ر	ء	ح	ت	و	ت	د	ن	د	ي
ب	أ	ح	ت	ى	ل	م	ن	ي	ل	م	ت
ك	ن	م	ن	ف	ك	أ	ل	ا	و	ف	ي
م	ر	ق	ت	ي	م	أ	ر	م	د	م	ن

المفقودة مؤلفة من خمسة أحرف:
من أسماء دمشق في العصور القديمة

الحل السابق: حمام النحاسين

الأبــراج

الحمل: تعود وتفتح لك أبواب الحظ وتزول التأثيرات السلبية التي كانت تخيم على حياتكاستفد من الأجواء لإدخال بعض التجديد في حياتك. عاطفياً: تقارب وانسجام مع شخص تعرفت عليه مؤخراً ورسالة سارة تصلك قريباً.

الثور: تزداد وتنشط الحياة الاجتماعية والمهنية وتتلقى الكثير من الدعوات والعروض ولكن عليك أن تحدد أهدافك بدقة. عاطفياً: إذاكنت مرتبطاً فعلاقتك مع الحبيب سوف تتجه نحو التحسن.

الجوزاء: إذا عرفت كيف تستثمر إمكانياتك فإنك تستطيع تحقيق نتائج مهمة طيلة الشهرين القادمين فكن واثقاً من نفسك. عاطفياً:حاول أن تتجنب النقاشات الحادة مع الشريك ودع الأجواء مستقرة.

السرطان: كن متأهباً بانتظار الفرصة التي تنتظرها منذ مدة طوية واعمل بكامل طاقتك لإنجاز المشروع المهني الذي تحلم به فالنجاح حليفك. عاطفياً كن قريباً من الشريك فهو بحاجة لدعمك في الظروف الصعبة.

الأسد: حاول أن تبتعد عن الأجواء السلبية وتتحاشى المجازفات والمخاطر حتى لا تقع في مشاكل لست مضطراً لها. عاطفياً: الأجواء مناسبة لتحسين العلاقة مع الطرف الآخر فلا تدع الفرصة تفوتك.

العذراء: حاول التوفيق بين متطلبات حياتك ولا تبتعد كثيراً عن المنزل بسبب كثرة الأعمال لأن غيابك يترك فراغاً. عاطفياً تصغي باهتمام إلى كلام الشريك فتكون مستعداً دائماً لدعمه مادياً ومعنوياً.

الميزان: بانتظارك أيام إيجابية على الصعيد المهني والدراسي وإذا واجهتك بعض الضغوط فتعامل معها بصبر وحكمة بعيداً عن الانفعال. عاطفياً: لاتتسرع في قراراتك واختبر مشاعرك جيداً قبل أي شيء.

العقرب: تستعيد حيويتك ونشاطك وتعرف تطورات سارةعلىالصعيدالشخصي والعائلي، وبانتظارك شهر استثنائى ترى من خلاله أفضل الإنجازات. عاطفياً: إذا كنت عازباً فتوقع أن تلتقي بشخص يجعلك أسير عواطفه.

القوس: تزداد وتيرة العمل وتحقق نتائج طيبة على الصعيد المهني والدراسي وقريباً ستدخل مرحلة هامة ستغير مجرى حياتك. عاطفياً: علاقتك مع الطرف الأخر مستقرة وهناك مفاجأة بانتظارك.

الجدي: كن واثقاً من نفسك واعتمد على حدسك، ولاتتراجع عن خططك المستقبلية بسبب أراء بعض الأشخاص السلبيين، فالنجاح حليفك. عاطفياً: قد تكثر المشاكل العاطفية بسبب التوتر غير المبرر، فلا تدع الأجواء في حالة غير مستقرة.

الدلو: تنهي واجباتك على أكمل وجه في العمل وتلاقي نتيجة أتعابك وتعطي صورة ممتازة عنك. تحسن مالي يلوح في الأفق. عاطفياً: تزدهر حياتك العاطفية من جديد وتستعيد العلاقة رونقها.

الحوت: يبدأ دولاب الحظ يقترب منك وعليك أن تكون مستعداً لاستثمار الفرص الثمينة على أكمل وجه. استفد من نصائح أصحاب الخبرة. عاطفياً: الحبيب يرغب في مشاركتك بعض المشاريع فأعطه الفرصة.



حارس الكنائس
في كلام المشهد



"البعث الأسبوعية" ـ غالية خوجة

كيف يقضي الناس أيامهم ويحافظون على أحلامهم بأمان؟ وكيف للوقت أن يستمر بين المشاهد الحياتية متداخلاً بين الذات والآخرين والمكان؟

لعلنا نختزل الإجابة بنبتة صغيرة طالعة من بين حجارة الجدران والشوارع والأرصفة، تهزّ أوراقها وبراعمها، سعيدة بأجنحة العصافير والطيور والقطط التي تسير بجانب المارة، وهم يسيرون داخل أيامهم المتسمة بحيويتها رغماً عن كل الظروف والحصارات، لأن كل إنسان، هنا، يدرك أن من الممكن تجنّب الظروف السيئة رغم صعوبة التجاوز، ويدرك أنه لا مستحيل مع مَن يريد الحفاظ على الحضارات واستكمال صناعة الحضارات.

وأينما اتجهت في حلب، تجد الناس منشغلين في تسيير حياتهم، سواء الواقفين على طوابير الخبز، أو المنتظرين في سياراتهم، أو الذاهبين إلى وظائفهم وأعمالهم ومدارسهم وجامعاتهم، والجميع واعٍ لهدفه الحياتي الجميل في البقاء في وطن جميل للتشارك في صناعة مستقبل جميل.

ولا يخلو المشهد الحياتي من ميزات محلية تعكس شخصية أهالي حلب من حيث الإصرار على حركة السوق مهما كانت بطيئة، والإصرار على النزهات مهما كانت مقوماتها بسيطة، والإصرار على العلاقات الاجتماعية الواقعية لأن إنساننا يحب الحكي والسرد والتشاور وتبادُل الخبرات والأسئلة والمعرفة في كافة شؤون الحياة.

وضمن هذا المشهد الحلبي المحلي، تسمع قرع أجراس الكنائس تدعو إلى الصلاة، والقداس، كما تسمع صوت آذان الجوامع وهي تدعو إلى الفلاح، فتشعر بطمأنينة وأمان أكثر، وتثق أكثر بأن الله حق وعدالة ويحبنا جميعاً، لذلك لا بد أن نحب بعضنا جميعاً من أجل هذا النور الذي لن يتخلّى عنا.

وتزداد ألوان المشهد حين تلتفت إلى شخوص يقومون بواجباتهم متحدّين فصول الإرهاب، فهذا العسكري يسرع بدراجته النارية لإنجاز مهمته، وذاك العجوز يحمل خضاره ويمشي ببطء، وتلك الدورية الشرطية تسير بمحبة، وتلك السيدة تذهب مع ابنتها لتشتري لها الأدوات المدرسية، وهذا الرجل الجالس في غرفته الخشبية يردّ التحية بابتسامة لمن يسلّم عليه من المارة، وكنتُ أحدهم، وكان قد لفتني منذ فترة وقوف هذه الدراجة النارية المزينة بعلمنا السوري الحبيب، وعلم آخر للكنائس، ولباسه الأخضر العاكس لنجمتين خضراوتين وخير لا

إنها لي، واسمي علاء، وأنا حرس مدخل الكنائس بساحة فرحات، كما أن من مهامي التنظيم والحفاظ على الأمان في هذا المكان بين التلل وساحة فرحات والكنائس.

وللناظر إلى تلك الساحة، والعابر لها، والساكن حواليها، أن يشعر بخصوصية النهار والليل وهما يتبادلان الحضور، ليكتشف الألفة بين أرصفتها البازلتية وحجارتها الحلبية العتيقة، وليكتشف الرقي بين الناس وهم يمضون في مشهدهم الحياتي المصرّ على الاستمرار والأمل والحلم والعمل، فتختلط رائحة المشهد برائحة الخبز والعطور والهموم والأحلام ولون الأشجار المتهيئة لفصل خريفي جميل يوزع غيومه مثل موسيقا غريبة ورائعة بين المشاهد الأرضية وتشكّلات الأبيض واللازوردي في سمائنا العريقة.



مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

المدير العام رئيس هيئة التحرير: **د. عبد اللطيف عمران**

رئيس التحرير: **بسام هاشم** أمناء التحرير: **سلوى عباس – فايز طربوش – حسن النابلسي**

هاتف: ٦٦٢٢١٤١ - ٦٦٢٢١٤٢ - ٦٦٢٢١٤٣ - ٦٦٧٠٠٥٢ موبايل: ٠٩٦٦٦٠١١٦٤ - ٠٩٦٦٦٠١١٦٥

فاكس ٦٦٢٢١٤٠ - صندوق البريد ٩٣٨٩ العنوان: دمشق - اوتوستراد المزة - مبنى دار البعث